قلم رصاص

نصف خطوة نحو الحقيقة

مجلة شهرية ثقافية منوعة تصدر عن موقع قلم رصاص | العدد 3 آب 2016

تطالعون في هذا العدد:

«القراءة بين حدين» مقال للكاتب ياسر اسكيف

«أنا الذي رأيت» مقال للقاص يوسف دعيس

ذاكرة في المخيم.. تلك الكثافة الثقافية

الحميدي... الرجل الذي قتلته الثعالب..!

هاني عباس: سأترك رسم الكاريكاتير..!

«سينما القطاع العام» إلى منصّات التتويج

- آنا عكاش تكتب يوميات الحرب من سورية
- معرض اسطنبول للكتاب العربي: الدين أولاً!

مبراة | حقاً...الدم ليس أحمر

فراس الهكّار

«إلى روح الأديب والقاص الصحفي السوري محمد جاسم الحميدي»

يا خال..

لست هنا في مقام أن أرثيك، أنا فقط أحاول مغالبة آلامي التي خلفها فراقنا القسري المُضني قبل سنوات، وأجهد روحي في رتق جراح قلب فُجع باختطافك ثم بمرضك ثم برحيلك، قلبي الصغير لا طاقة له على صروف الدهر ولم أكن مستعداً لرحيلك الآن، ولم أنضج كما يجب كي أرثيك بكلمات تليق بك، بحضورك، بغيابك المُفجع، إلا أن ضنك القلب يُغالبني ويأبى إلا أن يبوح بمكنونات الروح ويفضح آلامها. لا عزاء لي في غيابك إلا أني لازمتك في السنوات الماضية مثل ظلك، وخبرتك كما خبرت أسرار مغاور وكهوف وتلال شط الفرات التي زرناها معاً، لكنك طوال سنوات فراقنا لم تتغير فقد كنت في الموت كما كنت في الحياة، هادئاً عميقاً ولم تهتز للنائبات، ولم تسمح لقلبك أن يخذلك، قاومت حتى الرمق الأخير لكن بصمت، سحرني مذ عرفتك الهدوء العميق فيك، وجلدك على معاندة الفقد، الأم، الأب، والأخوة القدوة في الحياة والأدب، ثم الأحلام والأمنيات ثم الفرات ثم الوطن الذي خسرته وأتعبك حياً وميتاً، وليس وطن الميت إلا قبراً يجاور فيه أحبة سبقوه، عشت محروماً ورحلت محروماً، وسُجيت في أرض غريبة، لا ليست غريبة وأنت خير من خبر البوادي بطولها وعرضها على امتداد رقعة الوطن الذي حملته في فتوتك ولم يحملك في هرمك، يا تُرى ما سر ولعك بتلك الأرض اليباب وبحثك الدؤوب في تفاصيل أسرارها، هل كنت تبحث عن قبر لك؟ لماذا لم تخبرني حينها، بُحت لي بالكثير عن أسرار الحياة، لكنك لم تخبرني عن سر الموت. ساعترف لك بسر، كنت أخاف عليك، لا بل أخاف على نفسي من غيابك المفاجئ، كلما قمت لتعد القهوة لي ولك يُرهبني منظر المكتب وتلك الكتب المفتوحة، ونظارة القراءة السميكة، يصبح المكان بلا روح مذ لحظة خروجك، كنت أخشى أن تتركني وحيداً، أن اضطر يوماً لتوثيق لحظات أيامك الأخيرة، لكن يا لسخرية القدر تركتك وهربت ناجياً بنفسي. أثق أن موتك لم يكن طبيعياً ومرضك المفاجئ لم يكن طبيعياً ورحيلك عنا كان خارج توقعاتنا ولم نتحضر للوداع بعد كما يليق بك، لذلك خانتنا الكلمات ونحار ماذا نكتب فيك وعنك، كم كنت ارتجف وأنا أناولك مداد حروفي على الورق، كم كان يرعبني القلم بين يديك وترهبني النظارة السميكة أعود تلميذاً في الفصل الدراسي أمام مُعلمه الذي يبتسم عند كل خطأ عارض. وها أنا اليوم أكتب عنك ويتجدد شعور الخوف لأني أعلم علم اليقين أنك تقرأ حروفي، وأنك ما زلت تشجعني وتدفعني للانطلاق بأفكاري والتحليق في فضاءات الحرف والكلمة، مؤلمٌ هذا الرحيل المفاجئ يا خال، يا حبّا أساطير الفرات، لماذا لم تخبرني أن الدم ليس أحمر، لماذا أخفيت عني ذلك، لماذا لم تخبرني أنك ميت منذ زمن بعيد، لماذا يا خال، ألست أنت من كتبت هذه الحروف؟ (نعم يا سيدي أنا ميت منذ زمن بعيد) يبدو أنك أشفقت علي، وأردت أن تخبرني عن دروب الحياة وتبعدني عن الموت، أردت أن تكون قرباناً لحياتي وكنت..سامحك الله يا خال..سامحك الله.

- رئيس التحرير

أوفيليا: هل أشبه السوريات يا هاملت؟

❖ د. علي محمد سليمان | كاتب وأكاديمي سوري - اكسفورد بريطانيا

لم يعد لهذه البلاد سوى أن تكون خريطة خورخي لويس بورخيس، فالغرقى وحدهم يرسمون الخرائط والمخيلة وحدها تبصر في هذا العماء. أو لعلها الذاكرة؟ الذاكرة ما يشيد لنا في هذا التيه مسرحاً لنرقص عليه، نحن الكائنات المفجوعة ببلاد أحرقتها حروب الخرائط والسرديات والقتلة والطغاة والهويات. ذاكرة محمومة لا تشبه سوى الخريطة العملاقة في قصة بورخيس. لم يعد أمامنا سوى خريطة بورخيس، خريطة بحجم البلاد نحملها معنا لنستوطنها أينما رحلنا. خريطة تطابق أصلها الجغرافي حجماً وشكلاً، بديل طبوغرافي واضح لمتاهات الوطن. ذاكرتنا خريطة بورخيس، محمومة وشاسعة ومنكوبة بشعرية الفقدان، تستحوذ على المكان والزمان المفقودين وتكون بديلاً للتاريخ وللجغرافيا. الذاكرة، وحدها الذاكرة، خريطتنا الأخيرة وكل ما تبقى لنا من عدالة.

في جرح الخريطة الشمالي كنت قد قلت لها أن للضوء رائحة. لم تصدق فسألتها وأنا أهجس بأمداء بليلة تمتد شرق المتوسط إلى تخوم الصحراء: ماذا تفعل الأنهار في الليل؟ رمقتني المرأة الغريقة بتوجس وهي تسجي جسد الماء المطعون ثم دثرتني برداء من الجمر وقالت: الفرات سريري، نم هنا، فأنا أشتهي طرائد الضوء.

في النهر كان الماء بارداً ومعتماً إلا من إضاءات خاطفة تقترب وتتلألأ ثم تبتعد ويخبو نورها في الامتدادات المجهولة لعتمة الماء. رحت وأنا أوغل في أمداء الجسد السائل أرقب تلك الإضاءات الملونة تقترب مني وتسبح حولي ثم تبتعد ببطء حتى تتلاشى أضواؤها كذرات ناعمة من النور تشع في أقاصي المسافات الرجراجة ثم تخبو وتغيب. كانت في بدايات التجلي تلوح في الأفق الكتيم كاختلاجات تومض في أطراف الجسد المائي ثم تسري كرعشات تتوالى وتتصاعد في حركة محمومة باتجاه التشكل في هيئة مخلوقات ضوئية. كانت عتبات التشكل تلك تمتد في إيقاعات مضطربة، وكان الماء في ذروة تلك الإيقاعات يموج بتيارات دافئة تشتد قوتها وصولاً إلى لحظة التخلق. كانت مخلوقات ملونة تشع بقوة وتحدث تصدعات وانكسارات حادة في جسد الظلام السائل. تسبح المخلوقات وتقترب فأتبين أنها أسماك ملونة، حمراء، زرقاء، بيضاء، صفراء وأرجوانية.

هكذا غرقت أوفيليا. كان عليها في الماء أن تستغرق في الهذيان الضوئي زمناً يمتد ولا يتحرك، ينوس بين طورين للجسد المعتم، طور السكينة الأسود وطور الاختلاجات الضوئية. وحده هاملت النازح عن جسد الخريطة كان يسأل: من قال أن الأسود ملك الألوان؟ وما الأبيض؟ هل هو تلفها أم خديعتها؟ أيها الأسود، هل أنت لون أم غياب، أم أنت مرآة الهشاشة وتمام اجتيازها؟ هل أنت جثة الضوء؟ هل أنت صخرته السيزيفية أم بدد المسافة؟ أيها الأسود، هل أنت ذريعة هذا الماء؟ هل أنت انتحار الدهشة في هذا العبور من تفاصيل المكان إلى بدد الجهات؟

في زمن آخر سبق مذبحة الخرائط كان شكسبير على الضفة الأخرى من نهر التايمز يلقن الجمهور الإليزابيثي وصفة من مطبخ الشرق البعيد تفوح منها رائحة توابل حلب قبل 500 سنة من تدميرها في حرب ستضيع أسماؤها الكثيرة بعد انتحار المخيلة لينجو بخفة مدهشة اسم واحد، الحرب السورية! كانت فرجة، وكان الجميع يعلم أين سيجد عطيل منديل ديدمونة، لكنهم كانوا على تلك الضفة يتلصصون على حلب من نوافذ الجزيرة الكبيرة التي فتحتها الملكة إليزابيث على العالم البعيد. حلب غموض لا بد منه لوصفة السحر، هكذا فكر شكسبير على ضفة التايمز وهو يجمع الأخبار من الرحالة الثملين الذين كانوا بعد عودتهم من أسفارهم البعيدة يحتسون الجعة بشراهة ويروون الحكايات في حانات تعج بالفضوليين ويرددون بين كأس وأخرى: عجيب، كيف تجتمع كل تلك الأقوام والأديان والثقافات في مدينة واحدة؟!

في جرح آخر من الخريطة بحثت ربيبة الماء على ضفة بردى عن أطفال يفترشون عشب الحدائق في الليل ثم خبأت كمانها تحت معطفي الشتوي الطويل عندما فاجأتنا على طرق الضواحي المقنوصة ذئاب تعزف الناي. قلت لها يوجعني الماء هنا وصواب الخرافة. لا دونكيشوت سيجتاز الحواجز بين طواحين الموت ولا شهرزاد ستنظف ولائم السرد من السواطير والدروب في خريطتي مقفرة، فلا بد لي من الدمشقيات لأبصر. أتعلمين ماذا تعني عبارة لحظة دمشقية Damascene Moment في قاموس أكسفورد؟ إنها لحظة البصيرة التي تؤدي إلى تغيير في الرؤيا والوعي. رمقتني المرأة ثانية بتوجس ثم قادتني من يدي إلى فسحة في بساتين الغوطة. هناك حيث تناهت إلينا في العتمة أصوات انفجارات ورصاص تذوقت كتفي اليسرى بخوف ثم بكت وقالت: أنت مالح يا رجل، ماذا جرى لك؟! في أكسفورد نسيت ما كان من أمر الملح والذئاب وقدتها من يدها إلى ضفة التايمز ترى أين رأى ماكبث الساحرات؟! سألتني وهي تجول بنظرها في أنحاء السهل المعشب الفسيح. ربما في مكان ما هنا؟ قلت وأنا أرتجف برداً: الساحرات كن داخل ماكبث. كن رغباته وهواجسه... ضحكت المرأة، وبعد فترة من الصمت قالت: أتعلم، أوفيليا تشبه السوريات كثيراً. كان لا بد من سفر هاملت لتصاب أوفيليا بالجنون. وكان لا بد من عودته ليحدث الشيء الوحيد الذي يمكن أن يدفعه لإعلان حبه لها، أن يرى جثتها في القبر.

أيتها المطارات، يا مقابر الحكايات، كم من أوفيليا قتلنا؟! همست ونحن ندلف إلى فناء كلية سانت جون. لم تسمعني فقلت: سيدفؤنا الشاي الساخن. تعالي، مكتبي قريب من هنا. هذه كلية يوحنا المعمدان، وهنا يسمونه سانت جون.

جدتك التي كانت تأخذك إلى قبره في دمشق لتطعمي الحمام الحنطة وتبللي ثيابك بماء البحرة في باحة الجامع الأموي ثم تأكلين البوظة المعجونة بالفستق الحلبي في أزقة السوق الذي ينفتح سقفه على السماء على عتبة معبد حدد الآرامي لم تكن تعلم أن لعنة الحكايات ستطارد أحفادها إلى آخر مونولوج يلقيه هاملت على موظفي الهجرة والجوازات في مطارات العالم.

لم تكن جدتك تعلم رغم النبوءات الكثيرة. لا تحدث الجرائم دون نبوءات. انظري، هنا تعلم شكسبير كيف يمسرح التاريخ لأولئك البشر الذين كانوا يتحلقون حول الرحالة والشعراء في الحانات ليتلصصوا في أخبارهم وخيالاتهم على العالم البعيد. الجريمة هي الشكل الذي يحدث به التاريخ وكان على الجمهور أن يصدق نبوءات العواصف والساحرات والمعارك والأشباح على خشبة مسرح فقيرة. أتعلمين أن الفارق بين التراجيديا والكوميديا هش وقد يكون مجرد كلمة واحدة؟! كان يكفي ريتشارد الثالث لكي يتحول إلى مهرج كلمة زائدة واحدة فقط. ماذا لو أنه قال نصف مملكتي بحصان؟!

موتغرافيا...قريباً

❖ خاص قلم رصاص

يصدر قريباً ديوان «موتغرافيا» للعراقي وسام علي، عضو ميليشيا الثقافة، عن المركز الثقافي للطباعة والنشر في العراق وصورة وتصميم الغلاف للفنان ستار نعمة، تتوزع النصوص على مئة صفحة من القطع المتوسط وهذا الديوان الأول ولقد سبقته مشاركتين في انطولوجيتين شعريتين الأولى عن دار مخطوطات في لاهاي بعنوان: "الشعر في حقول الالغام" والثانية عن مؤسسة بنت الحجاز الثقافية في القاهرة بعنوان «أيقظت رصاصتك قلبي». وهذه مقتطفات من الديوان:

1 - أنا مُتوهجٌ جداً كالمُفخخَةُ التي انْفَجَرتْ تَواً...أشعرُ بالهَواءِ كأسفنجهٍ خَرَجَتْ من يدِ اللهِ. عَائمٌ كسَيّارةٍ إسعافٍ في أعْينِ المُصَابين...أنا مُسْتلقٍ كشَخْصيةٍ كارتُونيةٍ بجِوَارِ طفلٌ ما. الجميعُ يُحدقُ فيَّ كِستيانٍ وَسطَ السُّوق.

2

سَابقاً الذي يَمُوتُ يُعلقُونَ صُورتهُ الملونةَ في الشارِعِ، الآنَ يُعلقُ شَخصَياً، أو يُترَكُ مكانَهُ، فمُصورُ المدينةِ قدْ هَجَرَ البَلَدَ.

3

وجُوهُنا الزرقاء هي مُجردَ تَضَامُنٍ مع زُرقةِ وجْهِ اللهِ.

القراءة بين حدّين

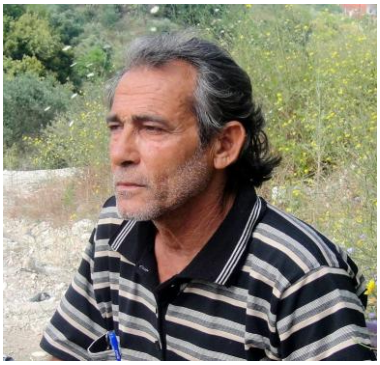

❖ ياسر اسكيف

ما من قراءة بريئة، أو محايدة. وتلك القراءة التي تحدث كبحث عن المعرفة لم تعد تتجاوز التعاطي مع المناهج الدراسية. والهدف هنا، كما يعرف الجميع، ليس المعرفة بحد ذاتها بل كونها أداة لاجتياز اختبار مفروض. وفي حال حصولها تكون نتيجة سببيّة أكثر منها غاية.

والقراءة، بالكيفية التي استقرّت عليها نوعيتها وأشكالها، باتت أقرب إلى الخيار الأيديولوجي منها إلى الإغواء المعرفي، والفضول الاستكشافي، وبات سؤال من نوع لماذا يُفكّر الآخرون بطريقة تختلف عن طريقتي؟ شبه غائب في دوافع القراءة، وطغى عليه سؤال آخر يقاربه في الصياغة والشكل، ويناقضه في المحتوى والجوهر. لماذا لا يفكر الآخرون بطريقتي؟ وكأنما التفكير بغير طريقة(ي) هو نفي وإلغاء وإقصاء ل(ي).

فيما ينطوي السؤال الأول على حسّ الاستكشاف والتقصي والبحث الذي يجعل من الهمّ المعرفي عصبه الرئيس.كما أنه يعكس النيّة في التصويب الذاتي، إن كان من طريقة أخرى صائبة في التفكير. والسؤالان بهذا المعنى ينطويان على نزوع إلى التصويب، أحدهما وحيد الاتجاه، والآخر ثنائيّه. إذ يسبغ السؤال الثاني على طارحهِ ميزة امتلاك الصواب، ويمنحه في الوقت ذاته الحق في تصويب ما يراه خطأ الآخر. وهذا ما يشير إلى نوع من الهداية الجهادية التي تتعدى في العمق مسألة المعرفة إلى مسألة الوجود.

وكما تظهر صياغة هذا السؤال فإنه سؤال المُنجز المُنتهي الذي يستند إلى المُقدّس النصي، أو المُطلق المعرفي. فيما يبدو السؤال بصيغته الأولى مسكوناً بهمّ البحث والتقصي عن الأسباب، كما بهاجس المعرفة والاستكشاف، ويقارب إلى حد بعيد مبدأ الشك بانطلاقهِ من موثوقيّة غير مصونة، وقابلة في أي وقت لإعادة النظر في ثوابتها ومسلّماتها. وبالتالي فالقراءة، التي يحفّز عليها السؤال بصيغته الأولى، تخلو من أيّة إعادة للإنتاج، حتى ولو على مستوى التدوير. وإن كان من إعادة إنتاج تُحسب لفعل القراءة هنا فهي إعادة إنتاج وتدوير الأسس والمسلمات التي تقوم عليها ثقافة الاتّباع والنقل والوصاية.

هذه الثقافة التي تخلو في كل جوانبها وفروعها وانشغالاتها من أي موقف نقدي، وإن كان من موقف فهو النفي على قاعدة التضاد.

صياغتان متقاربتان ومتباعدتان في الوقت عينه، إحداهما تحيل الفضول إلى فعل تأكيد على ثبات الحال، ومراجعة أمينة لنقاء رفوف الأرشيف الذاتي. إنه بطريقة ما استخدام أمني للفضول بجعله بوّاباً صارماً، أو مُبيداً لا يتساهل أبداً مع الأعشاب " الضارة"، وربّما كلب حراسة لا يكفّ عن الدوران حول السياج ومطاردة كل غريب، أو سجّاناً لا يعرف الرحمة. وهي صياغة تقدّم القراءة على أنها مُجرّد انشغال بالإثباتات التي تزيد من عزلة الانسان وتقييده، كما تكشف عن واحد من وجوهها الذي يتمثّل برهاب المعرفة. والأمر هنا يشبه إلى حد بعيد غض الطرف عن مشهد يظنّ الرائي بأنه حرام عليه. وهو بطريقة ما يمثل رعباً من انكشاف الذات في مرآة العري التي تجسدها كل معرفة. وهذا يقود إلى الحديث عن نوع من درء المسؤولية التي تستجرّها المعرفة. فالمعرفة مسؤولية بالدرجة الأولى. مسؤولية تستدعي الصراع الدائم بين معرفة متأكدة من صوابها، وأخرى تهدّد هذا الصواب.

غير أنه، في الفهم الذي تقدّمه هذه الصياغة، يغدو فعل القراءة أشبه ما يكون بمعركة دفاعية دائمة لا يكفُّ فيها هذا القارئ عن حفر الخنادق وإقامة المتاريس، بحيث تبدو القراءة بالنسبة إليه عملاً شاقاً ومُنفّراً لا طاقة له على الاستمرار به. والمسؤولية هنا تغدو، في ممارستها، نوعاً من التماثل مع الدرء والإبعاد. ذلك أن المسؤولية وضعيّة يتمتع بها الكائن الحر الذي نفتقده في حيثيات هذه الصياغة التي تخصّ فعل القراءة.

وأما الصياغة الأخرى فإنها تجعل من الفضول فعل حريّة يُمارس بالقراءة متحوّلا إلى فضول معرفيّ يجعل من السؤال مُحرّكا للتأويل والاستقصاء الذي يبقي القارئ أميل إلى الاتصال بالعالم، وبالمعرفة كصورة عن هذا العالم. وهذا ما يجعل من القراءة عنصراً بنيوياً في حقل الضرورات التي تحكم امتلاك المعرفة، وبالتالي القوّة التي تتيح للفرد أن يتحكّم بإدارة مصيره وقدره محوّله إياه إلى ما يمكن دعوته (الفاعل الفردي) الذي يمثل وجهة نظر تستمد وجودها وبقاءها من الجدل المستمر بين الذات والآخر، أي بين نصين هما القارئ والمادة المقروءة.

• كاتب وشاعر سوري

الدين أولاً في معرض اسطنبول للكتاب العربي

❖ أحمد كرحوت ـ اسطنبول

يضم معرض الكتاب العربي الذي افتتح منذ أيام في اسطنبول عدداً كبيراً من دور النشر العربية من سورية والعراق والأردن ولبنان واليمن والسعودية وليبيا ومصر والكويت، وتتنوع ثقافات الأجنحة للمعرض بحسب ثقافة كل بلد وكل دار، إلا أن الطابع السائد كان دينياً صرفاً، وحسب تصريحات بعض الناشرين المشاركين في المعرض إن الكتب الدينية كانت الأعلى مبيعاً والأكثر انتشاراً، وهذا يعكس ثقافة المشاركين ورواد المعرض في هذه الفترة تحديداً حيث كانت المجاراة بين دور النشر المشاركة تنحصر بقوة بين مصر والسعودية حول أكثر مكتبة غنية بكتب الفكر الإسلامي ومذاهبه ومعتقداته والسير الذاتية لبعض الأئمة الإسلاميين في حين كان تميز جناح من القسم السوري بعرض (القرآن) مكتوباً بطريقة حياكة بالإبرة والخيط ما يؤكد أن صبغة المعرض تتجه ليكون معرضاً إسلامياً أكثر من كونه معرضاً ثقافياً، باستثناء بعض الدور مثل الحصاد السورية والفلاح الكويتية حيث خلت أجنحتهم من الفلسفة الدينية وراحت باتجاه الكتب الفكرية والثقافية والترجمات الأدبية كما كان لكتب الأطفال التعليمية الجزء الأكبر من المعرض على مستوى غالبية دور النشر الورقية والالكترونية. بعض الناشرين المشاركين وخاصة من لبنان بدؤوا يتذمرون مع اقتراب انتهاء المدة المحددة للمعرض من نقص المبيعات وربما انعدامها على حد قولهم بسبب الوضع السياسي الراهن في تركيا، كما "إن توقيت افتتاح المعرض كان خاطئاً وكان من الأفضل تأجيله لكي يتمكن عدد أكبر من الناس من ارتياد المعرض إضافة إلى ضعف الحملة الدعائية والإعلانية".

أما في جناح أبو ظبي يقول أحد مسئولي قسم دار المداد: "إن الأسعار تعتبر غالية جداً مقارنة بباقي الدول والمعارض التي تقام في العالم العربي، ويعود ذلك لارتفاع الضريبة في تركيا، وأيضاً بسبب تكلفة الشحن وتكاليف الكادر المشارك من إقامتهم في فنادق وإيجارات الأجنحة في المعرض كل ذلك سبب ارتفاعاً كبيراً في أسعار الكتاب"، ويطرح مثالاً: "رواية مئة عام من العزلة لا يتعدى سعرها 5 دولار في معارض الإمارات وحتى غالبية الدول العربية إلا أنها تباع في معرض اسطنبول بسعر 30 دولاراً الأمر الذي شكل عائقاً أمام الكثير ممن ارتادوا المعرض بحثاً عن كتب معينة لكنهم خرجوا منه خالين الوفاض بعد أن صدمتهم الأسعار". افتتح المعرض في الخامس والعشرين من شهر تموز وتشارك فيه حوالي 170 دار نشر معظمها دور نشر عربية إضافة إلى بعض دور النشر التركية التي تصدر كتب باللغة العربية.

محمد جاسم الحميدي...رحل قبل أن تبصر ثعالبه النور..!

❖ خاص قلم رصاص

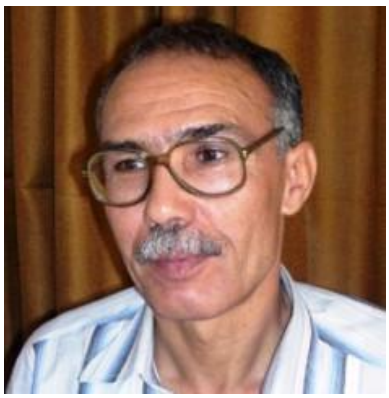

«المجتمع مثل الكاتب تماماً يقع في الجنون مرتين»

كان الأديب محمد جاسم الحميدي مُفعماً بالحياة، والابتسامة لا تفارق مُحياه، فرصيده من الأخلاق العالية والحياء والأدب والفكر والمعرفة يدركه معظم أهل الرقة، نخبتهم ممن عرفوه قاصاً وأديباً، وعامتهم ممن عرفوه صحفياً نشيطاً كرس وقته للكتابة عن همومهم وطرح قضاياهم أمام المسؤولين في مدينته (المستباحة).

اعتكف الحميدي في منزله حين دخلت مدينته مرحلة الفوضى، وابتعد عن الجميع خشية أن يُحسب على طرف، وعندما سيطرت الرايات السود على الرقة، أحرق الحميدي كل مكتبته ومخطوطاته حاله حال معظم مثقفي الرقة وأدبائها، إلا أن هذا الأمر أدخله في دوامة الحزن أكثر، وبعد أشهر مريرة ومعاناة طويلة تمكن من الخروج من الرقة إلى مدينة حماه، واستقر هناك مُنتظراً العودة إلى بيته المتواضع في مدينة الرشيد، قصد دمشق منذ أشهر لإجراء معاملة تقاعده من العمل في جريدة الثورة، ومحاولة استعادة مخطوط رواية كان قد أنجزها قبل سنوات وقدمها لوزارة الثقافة لطباعتها، كان أمله الحصول عليها فهي كل ما بقي من إرث الحميدي من مخطوطات قصصية جاهزة للطباعة لكن تكلفة طباعتها غير متوفرة لدى كاتب كان زهده بالمال وتحقيق المكتسبات كزهده في هذه الحياة، الرواية التي تحمل عنوان: (ملحمة الثعالب..ألف ثعلب وثعلب) هي الثانية للحميدي بعد روايته شمس الدين، لكن الأخيرة لم تحظَ بموافقة وزارة الثقافة لطباعتها، واحتجزوها لتغيب في أدراج الوزارة ويختفي أثرها، مخطوط الرواية قرأه بعض الأشخاص ولسنا بصدد ذكرهم، ويعلم الراحل وكل من قرأ الرواية أنها ستجلب له المتاعب، رغم أنه يتحدث فيها عن الثعالب ليس إلا.

اختفى الحميدي في دمشق كما اختفى مخطوطه، وبقي مفقوداً لشهرين، ثم تبين أنه كان بين براثن الثعالب، وأنهم صلبوا ذاكرته على سور المدينة العتيقة، ولم يفلح أهله في إيجاده، إلا أن رجلاً كان يقرأ ويتابع مقالاته تعرف إليه في المُعتقل وأنقذه، كانوا يرفضون أن يصدقوا أن حالته الصحية مأساوية ومزمنة واعتبروها حيلة، لم يعرفوه لو عرفوه كما نعرفه لما اعتبروه محتالاً، هذا الرجل الصادق ليس إلا ولياً من أولياء الأدب كان لعقود يغمس خبزه بالشرف والنزاهة والعفة ويأكله، إلا أن أهل بلدته تنكروا له، جميعاً، وقالوا لا نعرفه، وحاله تلك هي حال كل مبدعي سورية الذين يعانون الإهمال الرسمي المقصود حتى يموتون في عزلتهم الأخيرة.

محمد جاسم الحميدي: أديب وقاص وصحفي سوري، ولد في مدينة الرقة عام 1954، وتوفي في مدينة حماه تموز 2016. وله من المؤلفات:
- الحكاية الشعبية الفراتية 1 و2 - رواية شمس الدين - تحقيق كتاب الجراثيم لابن قتيبة - كتاب نحكي ألا نَام - كتاب تطور اللغة العربية والأخطاء الشائعة.
- كتاب الرواية ما فوق الواقع - القاشور..مجموعة قصصية - ترك أكثر من مخطوط لمجموعات قصصية ورواية "ملحمة الثعالب" لم تمكنه الظروف من طباعتها.

أنا الذي رأيت...!

❖ يوسف دعيس

محمد جاسم الحميدي المثقل بالحزن دائماً، الانعزالي الذي استعاض الفضاءات الواسعة بديلاً عن صمته المطبق، صمت العارف الذي يحيلك دائماً إلى تمثال المفكر رودان، أو بصورة تقريبية إلى تمثال أبو الهول، الصامت والغامض، الذي يشي بمعرفة عميقة ومتجذرة بمحيطه، مجسداً مقولة "أنا الذي رأيت".

ربما تكون الحادثة المأساوية، ومشهدية الموت أمامه وهو يشهد احتراق أمه، أمه البسيطة المفعمة بالخير تحاول المساعدة في إطفاء سيارة مشتعلة أمام بيتهم، محمد الصغير الذي يلعب إلى جوارها، يرى بعينين شاخصتين، كيف يذوب الجسد، الحضن الدافئ الذي كان يضمه، ويغيب معه في ملكوت السماء، الآن يتهاوى أمامه في لحظة، ستكون فارقة في حياته، ربما ستحيله إلى صمت سيظل مرافقاً له طوال حياته، وسيشكل هذا المشهد المؤلم مفصلاً في حياته، وعلامة من الحزن لا تفارق عينيه أبداً.

رغم صمته وانعزاليته المفرطة، وما يملكه من حياء متأصل تجده حاضراً بين المثقفين، وعارفاً بتاريخ الرقة وجغرافيا المكان الذي يعيش به، الكل يعرفه، لكن الكل هذا يمر عابراً في حياته، فهو يكتفي بثلّة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، هم من يستأثرون على صداقته، ورغم قلّة الأصدقاء، فهو يملك رصيداً كبيراً عند كل أهل الرقة، فالجميع ينظر إليه باحترام ومودة عالية، عندما توطدت معرفتي به، لم يكن في سجل أصدقائه سوى تركي رمضان وأحمد المصارع وتميم العيسى وعمار المصارع وإبراهيم الجرادي، الذي كان الغائب الحاضر دائماً في جلساتنا، اقتحمت هذا العالم مع أول قصة كتبتها، وتشاركت معه بالفوز في مسابقة البتاني للقصة القصيرة، ومن يومها لا يكاد يمر يوم إلا ويكون حاضراً معي.

رغم أن معرفتي بالحميدي تعود إلى عام 1977 وكنت أزوره مع صديق لي، وهالني منظره في اللقاء الأول وهو يغوص بين الكتب، فهمت خلال الجلسة الأولى أنه يعد لرسالة ماجستير عن الخيول العربية، وأنه يهتم بالتراث، ويكتب القصة القصيرة، وعندما خرجت من بيته، أبديت إعجابي به أمام صاحبي. وأخذت معرفتي به منحىً جديداً مع إصدار العدد الأول من جريدة الفرات في غرّة عام 2004 حيث كان لي الشرف في ملازمته كمحرر مساعد له في مكتب الرقة.

لم نكتفِ بالعمل ضمن حدود المكتب، بل خرجنا إلى الشارع، وكنّا نحاول رصد هموم الناس ومشاكلهم، وربما بما أملك من طاقة اجتماعية، هيأت الظروف الملائمة لخروجه من عزلته الطويلة، وانطلقنا إلى خارج حدود الرقة في محاولة لاكتشاف المكان، وربما تكون معرفته بتراث الرقة وإرثها التاريخي مقدمة لكتابة تاريخ الرقة المجهول، تاريخ الإنسان الأول، والحكاية، والعمارة، تاريخ الكهوف والمغاور والوديان والينابيع والأنهار.

بدءاً من هذه الأيام شهدت ولادة مجموعته القصصية الأولى القاشور، ثم رواية " شمس الدين"، ثم إصدار تحقيقه لكتاب " الجراثيم في اللغة" لابن قتيبة، ثم كتابه الذي كرّس جهده له " نحكي ألا نام" الحكاية الشعبية الفراتية في مجلدين كبيرين، وكان قد أصدر قبل ذلك كتاب "الرواية ما فوق الواقع" بالاشتراك مع شقيقه الدكتور أحمد جاسم الحميدي، وشارك في مجموعة " الدم ليس أحمر"، التي أشرف عليها الدكتور إبراهيم الجرادي. وكتاب التطور اللغة العربية والأخطاء الشائعة.

الحميدي كان موهوباً بالفطرة، يكتب القصة بتميز، وتتجلّى لغته المفعمة برائحة المكان في روايته " شمس الدين"، التي لم يلتفت إليها النقاد أبداً رغم أهميتها في المشهد الروائي السوري، أما أهميته في العمل الإعلامي فتبدو واضحة في رصد معالم الرقة، وربما الزوايا التي كان يكتبها تؤكد على موهبته المائزة في التقاط مفردات الحياة اليومية وقراءتها بطريقة مختلفة، ولعلّ الزاوية التي تحمل في طياتها الذاتي، هي ما تجعله مختلفاً ومتميزاً عن الجميع.

حكاية محمد جاسم الحميدي، حكاية حزينة ومؤلمة ومؤثرة، حكاية مكتوب عليها أن تكون فاجعة كرحيله المفاجئ، والصامت كصمته الأبدي، وما يحمله من ألم متجدد، يكاد لا يفارقه أبداً، وربما كرحيل أمه الفاجع..

وداعاً صديقي، سأفتقدك دائماً، لكني متأكد أنك ستكون حاضراً في قلبي.

- صحفي وقاص سوري

صناعة الرداءة واستسهال النشر..!

❖ عامر العبود

خضعت هذه المادة لإعادة صياغة جذرية، بعد أن كانت ناضحة بالشتائم، تفوح منها رائحة الكراهية، تعبّر عن كاتبٍ حاقدٍ! لكن تبعاً لسياسة التحرير فلا يجوز الهجوم دون استدلال وشواهد، وفي هذا حق، بل نصيحة قيمة، لا بد من إبراز حجة في وجه المتهم، لا بد من ذكر الفاعل والمفعول به ومن حرض وسهَّل وقوع الحدث، خاصة وأن الحدث جلل، وله أسباب وقوعه الظاهر منها والباطن، كما له أسباب استمراره، إنها صناعة الرداءة الثقافية.

أما الرديء في كل فن؛ فما من عصر إلا وعرفه، وإن تفاوتت الرداءة في طغيانها على الوسط الثقافي بين مد وجزر، وأما القيم من كل إبداع فهو يبقى دائماً وأبداً، فلا خوف إذاً من خلود الرديء واندثار الحسن، لكننا أمام معطيات مختلفة، أمام انحدار كبير في النوع، وتهافت عظيم في الكم، لنقل مجازاً أن هذه الظاهرة نتيجة موضوعية للانفجار المعلوماتي العظيم، ولثورة التكنولوجيا والاتصالات التي يبدو أنها لن تتوقف قبل أن تجعل من الناس نسخاً طبق الأصل بعضهم عن بعض، ولنتفق أن وجود اختراع مثل (الفيس بوك) لا بد أن يخلق آلاف المهووسين الذين اقتنعوا ببساطة أنهم تخطوا كونهم بشراً عاديين، بل دخلوا طور النبوة!

كيف لا؟ وإذا قام أحدهم بنشر صورة لثيابه الداخلية مذيّلة بعبارة منمقة وخليعة في آن، سيحصل بلا شك على سلة من اللايكات والتعليقات التي ستثبت له أنه شخص استثنائي، وأن ثيابه الداخلية أهم من كل المعلقات والقصائد والكتب والنظريات والأفكار.

تحت عنوان (درس القراءة) كتب محمد عبد العزيز في مجلة الأزمنة العدد 439 في صفحة (رأي) مستخدماً الشخصيات التي كانت في كتب القراءة للابتدائية في سورية: " قال مازن اخرسي ولك whore، قالت ميسون واحد متلك بيخرس يا خنزير، قالت رباب looooool، قال باسم XOXO".

في موضع آخر من ذات المادة التي لا تتعدى مائة وخمسون كلمة منشورة في صفحة كاملة: "صفع مازن ميسون وقال عميلة، فركت ميسون بيضات مازن وقالت خائن.. صار الوطني الشريف المؤيد بيطلق عليه هيك، صرخ باسم آخ آخ، فهب الأخوة، قالت ميسون خرجك، واختفت".

كي لا يقال أننا اختصرنا، إن ما ذكر ثلث المادة المنشورة على صفحة ملونة لماعة مرفقة بصورة درامية للكاتب! الذي يتحول إلى شاعر في عدد آخر:

"أقل بشاعة
هذا العالم
عندما نتناول العشاء برفقة صديقة مثيرة
دون علمنا أنها ليزبيان
أقل بشاعة
هذا العالم
حين يزداد قبحه وضوحاً
أمام مؤخرتك الجميلة
وأنت تمرين من أمام محكمة أمن الدولة
رغم المخاوف
بإلحاق الوهن بنفسية الأمة"

ويذَّيل الشاعر قصيدته بثلاثة أسطر: "بانتظار الحرب الأهلية أجلس بفارغ الصبر خلف معمل برسيل لأردي حبيبك بطلقتين في القلب.. لأن العكروت لا يحزن كما ينبغي لفقدان أزرار قمصانك في آلة الغسيل كما كنت أفعل وأحزن على أزرار فساتينك كمسحوق يفتقد حبيباته الزرقاء، تباً لقد هرمنا، لن أشترك بعد الآن بباقة يا هلا شباب يا أوغاد".

قد نغض الطرف عن انعدام أي قيمة مضافة في النص، جمالية كانت أم فكرية، حيث تنتهي "القصيدة" دون أن تترك أي أثر قد يفوق أثر - بوست- لإحدى فنانات العصر الصاعدات، لكن ألا يجب أن يكون انتقاء كلمةٍ "شوارعية" محكماً ضمن سياقٍ يسمح لا بل يتطلب وجود هذه الكلمة دون غيرها، وإلا انتقلنا إلى تحويل الشعري لعادي بدلاً من تحويل العادي إلى شعري؟ من جانب آخر تضعنا هذه النصوص أمام سؤال مصيري عن دور النص الشعري في الحياة الثقافية، فإذا تمكنّا من تجنب اتهام النص بالإفساد، لن نجد له هدفاً أو معنى إلا رسم ابتسامة باردة على وجه قارئ صدفةٍ عجول، حتى أن من يدرك قيمة الشعر ليخجل أن يضع مجرد " لايك"، كما أنه يجب فهم وجهة نظر التحرير في المجلة بوضع هذه الطلاسم في صفحة الرأي! وهي لا تعبر عن رأي أو فكرة بلا جملة واحدة مفيدة!

هذا النص وغيره، يضعنا أمام واقع مؤلم، يتمثل أولاً: بتسرب مثقفي (الفيس بوك) نحو المطبوع الورقي، ثانياً: تشويه مقصود أو غير مقصود للذائقة لدى القراء، خاصة المبتدئون منهم، ثالثاً: وليس أخيراً، نحن أمام جريمة بلا مجرم، ومحكمة بلا قاضٍ، حيث أن القيمين على النشر يختبئون خلف احترام المنجز الثقافي والسماح له بعرض نفسه أمام الجمهور، دون أن ينصّبوا أنفسهم كحكام، أو من منطلق "الجمهور عاوز كده"، هكذا يرفعون المسؤولية عن عاتقهم، ولا يرمونها على أحد!.

ما هي وجهة نظر الكاتب خلف علي الخلف وشركة لولو الأمريكية من نشر ديوان كامل من هذا النمط تحت عنوان قصائد بفردة حذاء واحدة:

"لا أدري كيف كنت أحبك يا قيموعة
رغم أنك لا تستحمي إلا قليلاً حتى أن
رائحة دورتك الشهرية
تظل لاصقة بك لأيام عديدة
كل ما شممتها قلت:
العادة الشهرية
لقيموعة قدر منفرج الساقين
في لقاءاتنا العرجاء كنت تلبسين
الـ (لانجري) والذي لم يكن سكسياً
أو مثيراً لـ الجنس على الإطلاق
كما أنك لم تغسليه منذ القرن الفائت
حتى بدأ يشبه الزمن نفسه
وكلما اردتيه أهتف : لقد ارتدت
الـ (عرب)".

الأغرب أن القصيدة تستهل بإهداء إلى السيدة فيروز بمناسبة عيدها السبعين!! ما الذي يريده هذا الـ(شاعر)!! أي قرف يحاول أن يولده؟ هذا الأسلوب الركيك الذي يعتمد على جمع قمامة الكلام دون أن تحمل في طياتها أي هدف، دون أن ترمي بمعانيها أي مرمى، كما أن الكاتب يصر على استخدام العبارة السوقية الجنسية دون مبرر، وهنا لا نتعصب للغة الفصيحة على اعتبار الكاتب من دعاة التمرد على الفصحى وإدخال العامية إليها، بل نتعصب لمفهوم الشعر نفسه، فهذه الكلمات محاولة نصف ناجحة لتشويه ثقافة جيل بأكمله، وما شأني أنا بـ"كيلوتها"؟

تحت تأثير هذه الكلمات كتبت مادة مليئة بالشتائم، حذفت أغلبها احتراماً لضرورة الإشارة إلى المذنب بعينه، لكن بعد الإشارة نورد الشتائم:

المهرجون، البغاء الفكري، العهر الأدبي، النخبة تغذي البغاء الكلامي والثرثرة في مجتمعها، المشوهون، المدّعون...إلخ.

اللوحة للفنان هاني عباس

• كاتب سوري

في المنفى .. ليس للسوري ما يرثيه

❖ أحمد كرحوت

حين تعيش في بلد مصاب بمرض الحرب يلزمك الكثير من اليقظة والانتباه المستمر حتى لا تصاب بجرثومة التعصب الديني والسياسي، كل شيء حولك يدعوك للتطرف وكل جانب من المتقاتلين والمطبلين والمزمرين يعرض عليك صوراً وأفلاماً وقصصاً ليثبت لك أنه الجلاد والضحية في آن معاً!

في حين يظهر الطرف الآخر على أنه الوحش المجرم، بالإضافة إلى كل أجهزة الإعلام التي تمارس الدعاية لأحد الأطراف تحت ستار كلمة "الأخبار" فتستقطب العقول الواهنة كل على حافة من الهاوية وتبقى الساحة فارغة أمامهم لحملة السلاح، فيكون كل من حولك من الأصدقاء والعائلة يريدونك أن تشاركهم حقدهم على الطرف الآخر..

لكي لا تقع في هذا الجنون الجماعي أنت بحاجة إلى الكثير من العزلة الجسدية والفكرية وأن لا تنسَ أبداً أن المأساة سببها الأساسي الغباء الذي يتلخص في مفهوم: إنسان يقتل إنسان فقط لأنه لا يشاركه نفس الأفكار!! تفكر عندها في الهرب من كل ما هو حولك وفجأة تجد نفسك بلا أرض تسدل عليها جسدك الذي وهنته الأيام والمشي الطويل في غابات أوروبا وتغرق في منفىً آخر غير الذي ولدت فيه.

لم يبق للسوري في المنفى ما يبرر وجوده، السوري الذي أوجد السياسة فقتله السياسيون، وأوجد السفن فغرق في بحر من الدم، ولم يجد ما يخلصه من سلطة الحدود المغلقة والأسلاك الشائكة، الذي خلق الحضارة الأولى وهرب منها بحثاً عن لغات جديدة. السوري الذي احتفظ بالسيف الأموي حتى غرزه القوادون في ظهره وأغرقوه في حقل من النفط. السوري الذي اعتاد الإحتفاظ بكل ما هو فارغ من علب بلاستيكية وفراش قديم يعود لجده. السوري الذي نام حالماً بصرخته دون أن يردد الصدى صوته فيخاف، ذاك الكائن الذي يفهمه الجميع ولا يفهم نفسه، فيخبئ صحن سجائره الممتلئ وعلّاقات الثياب المتسخة وفناجين الشاي المختمر وعلب الكبريت الفارغة خوفاً من عتبات الأيام العالية وينسى أن يحتفظ بالسلالم الخشبية حين استبدلها بالإسمنت الذي تحول إلى متاريس يلقي خلفها ظله ويمشي تحت الركام. السوري الذي يحتفظ بالكتب المتهرئة بلا مكتبات ويكتب في صفحاته الفارغة قصص حبه الأول.

السوري الذي يركب دراجة هوائية فيجعلها سبيلاً ليوقظ النيام في الأزقة الضيقة صارخا بأعلى صوته " أوعى أوعي" فيبتعد المتجولون دون وعي حقيقي لعمق ندائه!!

لم يبق للسوري أكثر من اللغة التي أوجدها قبل اكتشاف القارات وقبل الجمهورية، قبل البرلمانات وصناديق الاقتراع البائسة، قبل الموت بقليل، وقبل الخلق بقليل.

يقول السوري للسوري: لا خبز لدي أو أمل، لا أرض لي، وحده البحر كفيلٌ بتعليبي وتقديمي في علب حديدية للشعوب الجديدة وجبات ناقصة الدم كاملة الدسم تُباع في الصيدليات المناوبة ومحلات الكونسروة.

كان يعلم السوري أنه سيحتاج جوازاً ليعبر من زقاق لآخر، فاحتفظ بفواتير الماء والكهرباء والأوكسجين ومشتقات البترول وخيوط العناكب والإبر والخيطان الملونة وأحواض الزرع والقش وحبوب السيتامول والبروفين وعلب اللاصقات الطبية.

كان يعلم السوري أن بيته سيهدم، فألبس الكنبات شراشف بيضاء كي لا تتسخ إذا ما احترقت وعلق عباءات سوداء على شماعات المنزل ليتأكد أن شيئاً ما سيقيم عليه الحداد تحت الركام وفوق القوارب الملينة بالهواء الأصفر والطاعون..

كان يعلم السوري أنه سيخسر قبل النهاية حين قلصوا له عدد ساعات النهار في الشتاء وعدد صالات السينما وحولوها لمراكز عسكرية تبيع العرق والأزرار والأحذية الجلدية وحقائب السفر!

لوحة للفنان يوسف عبدلكي

كان يعلم انه سيخسر حين أغلقوا المسارح وافتتحوا مراكز تدريب الصاعقة للرضع وحذفوا الشامات من وجوههم.

لم يبق للسوري ما يرثيه سوى الخيطان الصوفية التي لم تحِكها النساء وأحرقتها قذائف الهاون والسيارات المفخخة والصحف الفاسدة.

كل ما تمناه السوري في الأمس أن تقع بين يديه جريدة لا تبتدئ بارتفاع سعر الدولار مقابل روحه الرخيصة، كل ما تمناه صحيفة نظيفة يحفظها في علب الحلاوة الفارغة أو تحت فراش جده، أن يلبسها فوق جلده المتشقق من آثار النزوح، لم يبق للسوري في المنفى ما يبرر وجوده سوى يوم واحد يسميه الجميع كذبة نيسان ويسميه السوري عيد البداية.

• كاتب وشاعر سوري

وجبة مُبسترة خالية من الأحلام..!

علب السردين مقابر جماعية لأسماك رفضت الموت فرادى بشص صياد ملول فوقعت في شباك الغواية، وعلب التونه ليست سوى مجموعة أشلاء من قضوا تحت التعذيب في سبيل أحلامهم، أما الأسماك السوداء المجففة فهي هياكل عظمية لمن تفحموا فوق أسلاك الكهرباء دون أن يعترفوا بأنهم جمعوا فتات لحم رفاقهم العالق بحواف المقصلة وهربوه خارج المقبرة بتوابيت قالوا حينها: إنها ليست سوى علب (مرتديلا).

سمك حارس المقبرة قرش هرم أعمش العيون، تقوده فراخ الطابور الخامس وتجذبه رائحة الدم، يتفحص توابيت الضحايا، يبحث في كل الزوايا عن سبع البحر ويصرخ بالمشيعين الهاربين بتوابيتهم، "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه"؟

ترتعد الأطراف وتجيب فراخ الطابور، وما هذا السؤال حتماً يحبون ويستلذون به، ويأكلونه حياً مهما أستطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

يهمس سبع البحر الجريح: "لأننا إذ نعيش في هذا الماء الآسن لا سبيل لنا للبقاء على قيد الحياة إلا بأكل بعضنا، لم نعد نخشى أسماك القرش الفتية بل هي باتت تخشى بطشنا، لن نسمح للموت أن يختارنا كيفما يشاء بل سنختاره، أصبح الموت في مستنقع الدم زادنا اليومي لكنه يبقى موتاً حميمياً حين تُكدس جثثنا المتفسخة في مقابرها المعدنية والترابية والخشبية وتلك التي تذروها الريح على قارعة الطريق، فالموت الجماعي يخفف آلام الحشرجة ويبعد عن الأرواح المُتعبة بأحلامها شبح خطاطيف الموت فرادى، وعرّاب المنايا يتلذذ بقطفها لا يهمه أن أينعت أم لا".

أما أنا الإنسان الضعيف الذي لا حول لي ولا قوة فيُرعبني منظر الأشلاء يجعل دموعي تهطل وحدها دون تحفيز، قرأت ما قرأت فكرهت السردين، ورميت كل علب التونة و(المرتديلا) خارج الثلاجة، لا أريد ثلاجة موتى قرب سريري، احتاج كتاباً وقنديلاً وسرب حمام من الشام إلى البصرة، يرمي أغصان الزيتون فوق بلادي، ويهدل في الذهاب بقصائد نزار قباني وممدوح عدوان ومحمود درويش وعبد اللطيف خطاب وإبراهيم الجرادي وفي الإياب يحمل لي تحت جنحيه قصائد الجواهري والسياب وأحمد مطر.

أريد أن أهزم هذا الموت، بالقصيدة، لا أقرض الشعر لكني اعتدت التلصص على الشعراء، في كل مرة أنجو من الموت اقرأ قصيدة شكر للسماء، وحدها الحروف تمنحك المقدرة على مراوغة الموت وهزيمته، وحدها الكلمات المرصوفة بإيقاع منتظم تنعش القلب وتجعلك سبعاً تواجه قرشك وشبح الموت دون أن ترتعد فرائسك، كن مثل هابيل وواجه نهايتك بشجاعة لكن تعلم أن تختار ميتتك، ليت قابيل سأل هابيل أي الميتات تختار، كانت ستكون سنّة للموت، كما هناك سنن للحياة إلا أنه لم يكن يعرف عن طرق الموت شيئاً، فقتل أخاه ببدائية، أما الموت الجميل هو الموت ما بعد الحداثي، كتلك القصائد التي سحرت كلماتها حالمين وعاشقين الأحياء منهم والموتى.

لعله من الرجعية أن تضرب شخصاً بحجر فتقتله أو تضربه بعصا غليظة على رأسه فيخر ساجداً، إن الموت الرجعي كالحياة الرجعية لا طائل منها، أفضل الميتات أن تغص بحلمك وتقضي في سبيله، وخير ميتة تلك التي تختارها أنت ولا يفرضها عليك أحد، أي الميتات أفضل لو خيرت أن انتقي ميتة تليق بي؟

اختار أن أموت كسمك السلمون، بعد أن أكون أنجزت واجباتي على أكمل وجه.

• ف . ه

يوميات حرب طائفية...أهلية بمحلية

❖ آنا عكاش

وقفت على الجهة المقابلة للباب الشرقي بانتظار السرفيس كالعادة، صوت القصف يأتي مكتوماً من بعيد وبعض السحابات السوداء ترتفع من ناحية جوبر وزملكا. لا أحد يلتفت، يهتمّ أو حتى يرتعش.

لون السماء بدأ يميل إلى الأحمر المغبرّ مع الغروب، في الأعلى سرب من اللقالق المهاجرة من أيلول سوريا إلى مناطق أكثر أمناً ربما. غريب كم كانت قريبة من الأرض، رأيت بوضوح أجنحتها الكبيرة المفرودة في الهواء ورقابها الطويلة؛ بدت مشوّشة في طيرانها من دون القائد الذي اختفى من مقدمة سربها الذي يفترض أن يطير كزاوية سهم. لم يكن لسربها نقطة زاوية، مرتكز قائد السرب فارغ، فكرت:

- يمكن قنصوه أو اجته شي رصاصة طائشة.

عليها الآن أن تعتمد على غريزتها، أن تحصر جميع حواسها كي تتمكن من متابعة الطريق، وربما عليها أن تستفتي قائداً جديداً على عجل. هل يحدث هذا في عالم الطيور يا ترى؟

لمعت نجمة صغيرة في الأفق ذكّرتني بلمبة توفير طاقة بيضاء، لكنها كانت أجمل بتفردها وسط عتمة الغروب، وكان نورها أبهى. فوجئت بها، فقد نسيت أن في سماء الليل أشياء تلمع اسمها "نجوم".

كم كنت مولعة بمراقبة النجوم في طفولتي، أعرف من توضعها السماوي مجموعة الدب الأكبر والأصغر، واستطيع تمييز برج العقرب أيضاً وسهم برج القوس، لكنني كبرت ونسيتها كما نسيت ألعابي التي احتفظ بها في كرتونة على سقيفة ما. لم أعد أنظر إلى السماء كما كنت أنظر من قبل، هذا هو الأمر كله وببساطة شديدة.

طال انتظاري، وبدأ حشد المنتظرين بالتزايد على الموقف. تمر السرافيس مليئة بالناس ولا تتوقف. وبتفاؤلي المعهود فكرت:

- شويّ وبيجي واحد فاضي...

حتى أنني تخيلت الجهة التي سيأتي منها.

نظرت نحو الباب الشرقي فرأيت الجامع والكنيسة متجاورين، لا أعرف اسم الجامع ولا أعرف اسم الكنيسة، كل ما أعرفه أن هذه الصورة مربوطة في ذاكرتي بالصور (المطروشة) على الفيسبوك تحت عنوان " التعايش الديني". ضحكت من الفكرة، كم يشبه مفهوم (التعايش الديني) مفهوم (التعايش الأهلي)، من الذكي الذي اخترع هذين المصطلحين الغبيين؟ بالفعل يستحق جائزة.

حصل كما توقعت تماماً، وها قد وصل باص فارغ، من ذاك الذي يسمونه (نصف باص) أو شيء بعجلات يشبه الـ (هوب هوب)، مقاعده ضيقة، خانقة، محصورة بالحديد، لا تناسب المصابين بفوبيا الأماكن المغلقة. لكنه يفي بالغرض.

صعدت. انتقيت مقعداً منفرداً كي لا يزعجني أحد بجلوسه قربي، يا للرفاهية فكرت.

على المقعد المجاور جلست امرأة مع طفلها المصاب بالـ" داون"، ظل يصرخ طوال الطريق والمرأة تهدّئه.

أنظر من النافذة (ذات الستائر) الوسخة، العرق ينحدر من أعلى ظهري إلى أسفل، أمسح قطرة تسللت من شعري وبدأت تدغدغ رقبتي.

الباص يتحرك بالكاد، على الشارع الرئيسي مجموعة من المحلات المتتابعة المختصة في إصلاح المولدات الكهربائية، الآظانات، كهرباء السيارات، ميكانيكية، حدادين، نجارين... كل ما تشتهيه النفس من حِرف...

تحولت الدكاكين إلى ما يشبه مستودعات لعددهم، فإن احتاجوا غرضاً من (العدة) دخلوا الدكان ليأتوا به ثم تابعوا ما يعملونه على ما تبقّى من الرصيف.

انطبعت في ذاكرتي أيديهم الملوثة بالشحم، وبالإصرار على إتمام عملهم قبل حلول الليل.

يتحرك الباص ببطء في سيل الازدحام المروي، يمشي مترين ويتوقف، ثم متر آخر ويتوقف، ومع كل متر تَوَقُّف يمتلئ بالركاب المنهكين بالانتظار، انتظار وسيلة ركوب ذات فسحة صغيرة تتسع لانتظارهم، انتظار يوم آخر مضى على خير وربما لم يمض... وربما انتظار استمرار التعوّد على الحياة بإيقاعها الجديد.

فكرت:

- أكيد في بنزين أو مازوت بكازية "زغلولة"، وبس نقطع الكازية بينفرج الطريق..

أتمسّك بحديد المقعد أمامي حتى أكاد أشم رائحته. كم هو ضيق هذا المقعد.

في الممر قربي تقف امرأة مع ابنتها البالغة من العمر سنتين أو يزيد، المرأة محمّلة بأكياس خضرتها، والطفلة تتمسك بأطراف مانطو أمها، تتأرجح يميناً ويساراً مع كل ضربة فرام يدوسها السائق، كذلك المرأة مع أكياسها النايلون تحاول عدم الاستناد على كتف ذاك أو ذاك. وكالعادة لم ينتَخِ أحد من الرجال المسترخين في مقاعدهم، بل ظلوا ينظرون إليها بحيادية وكأنها ليست هنا، (مكدوسة) بين باقي الركاب كما يجب أن يكون.

وضعت الطفلة في حضني كي لا تركلها الرُكب، أو تضيع بين الأقدام الكثيرة في الممر الضيق.

- خليكي قاعدة عند خالتو.. إيه؟

ووافقت الطفلة أمها بهزة صغيرة من رأسها، فقد تعبت هي أيضاً من ارتطام رأسها المتواصل بحديد المقاعد.

أشعر بسعادة مطلقة، الطفلة في حضني، أعانقها من بطنها بيدي، أشعر بدفئها وبدقات قلبها الصغير. تذكرت صديقتي إيناس تصف حركة طفلتها داخل بطنها وملمس أصابع قدمها الصغيرة تشد على جدار البطن. كم كنت قريبة من هذا الشعور، أو ربما أتخيل.

توقف الباص. نزلنا جميعاً وسرنا نحو الجسر.

تحت الجسر بائع قِنّة على عربة يجرها حصان، يرتدّ صدى صوته عالياً وهو ينادي على بضاعته مستسيغاً لعبة الصدى، فيلوّن صوته ويتلون ويزداد ارتفاعاً.

تستفز السيارات حصان عربته بزماميرها، واضح أنه متوتر يضرب الأرض بحوافره بعصبية.

كشك صغير على دواليب يبيع القهوة والشاي لجموع السائقين المنتظرين في سياراتهم.

يحيا الشعب السوري العظيم بصموده وعزيمته على البقاء.

كشك متنقّل صغير زينه صاحبه بسلسلة من أوراق بلاستيكية خضراء، فقد صُنع هذا الكشك ليبقى، وليلتصق اسمه على واجهة الزجاج؛ ليتني أتذكر اسمه. ربما كانت كأس شاي ميلاد وأبو ميشو من هذا الكشك، من يعلم!

سرت مع جموع الناس مشياً لنجتاز الحاجز، على التراب، فكرت بقدمي اللتين ستتسخان لكن لا يهم طالما ما يزال هناك ماء في البيت، فلا يعقل أن نعلق هنا لساعات، وها قد مضى يوم آخر.

7 أيلول 2013

• مخرجة و كاتبة سورية

هاني عباس: لست مثقفاً. وسأترك رسم الكاريكاتير.!

❖ حوار قلم رصاص

يحلم هاني عباس (1977) رسام الكاريكاتير السوري الفلسطيني بملايين المشاهد المدهشة للحياة العادلة، يسخر من الوجع ويحتقر الطغيان، يقف مع صرخة المظلومين منذ كان في سورية كانت رسوماته الناقدة الذكية تعبر إلى الناس عبر الصحف والمواقع الإلكترونية.. ولد هاني في مخيم اليرموك، المخيم الكبير اللاجئين الفلسطينين قرب دمشق.

اضطر للخروج من سورية وطلب اللجوء في سويسرا. حالياً مقيم هناك ومستمر في إدانة مآسي الحرب من خلال الكاريكاتور. في مايو أيار 2014 حاز على الجائزة الدولية لرسوم الصحافة من كوفي عنان في جنيف.

كما فاز أيضاً بعدة جوائز في سورية، ووصل إلى المرتبة الثانية في World Press Freedom Cartoon في الدوحة عام 2013.

حالياً هو رسام كاريكاتير في مجلة (إيبدو) ويعطي محاضرات في المدرسة الدولية في جنيف للبالغين وللأطفال...

قلم رصاص اتصل بالفنان هاني عباس وكان الحوار التالي:

• هل الحلم بالحرية أصبح إلكترونياً؟ أين هاني عباس الآن في هذا العالم المليء بالميديا والشاشات وكتم الصراخ ودمار الحجر وقتل الناس؟

الفضاء الإلكتروني الرحب بما يقدمه من سهولة الحصول على المعلومة وسهولة النشر والوصول لعدد أكبر من الأشخاص والمهتمين، وفر وسيلة مهمة بلا شك، لكن بالمقابل كان بمثابة كاشف كبير للرأي العام، أو لنقل بشكل أدق، كاشف لفهم الناس لكثير من الأمور والأحداث. يمكن أنت تكتشف لماذا تخسر القضايا العادلة مثلاً!

الحرية كحلم فردي يمكن أن يحققه الإنسان بوسائل متاحة ولكن الحرية كحلم ومفهوم جماعي تبدو أكثر صعوبة يوماً بعد يوم، ليس بسبب المطالبين بها، بل بسبب العدد الكبير من الأشخاص الذي يحب أن يبقى تحت نير العبودية، وأقصد هنا العبودية بكل أشكالها، عبودية فكرية أو اقتصادية أو إجتماعية أو دينية معينة.

الحرية برأيي هي وسيلة مهمة لبناء مجتمع مدني ديمقراطي، مجتمع مواطنة، وليست الحرية هدفاً بحد ذاته. بالنسبة لي لازلت هنا، أحاول أن أبقى صامداً رغم كل التحولات الكبيرة التي جرت في فترة قياسية! أنفعل أحياناً وهذا طبيعي، لدي بعض الأفكار أحاول صياغتها فنياً وحلم بسيط أن تؤثر في زمن ما.. زمن قادم..

• الإنسان كان بوصلة عملك، كيف تقضي وقتك مع الناس وما الذي تسعى لكشفه معهم بعد استقرارك في بلد أجنبي؟

كان الإنسان وما زال، مع صعوبة بالغة في الأمر، صعوبة تزداد يوماً بعد يوم بسبب الفرز القاسي الذي يكبر تدريجياً، حتى فكرة (الإنسان) أصبحت ضبابية أكثر و تحتاج إلى تفصيلات كثيرة للأسف!

لدي الكثير من الأصدقاء في المناخ الالكتروني، وحيد واقعياً..! منهمك في تفاصيل حياة الأسرة لحد كبيرهذه الأيام، التواصل مستمر والجسور باقية مع الكثير من الفعاليات والنشاطات خصوصاً داخل المناطق المحاصرة في سورية والعمل مع منظمات تعنى بشؤون اللاجئين بشكل عملي وحقيقي، سواء اللاجئين السوريين أو الفلسطينيين داخل فلسطين المحتلة وفي الشتات.

البلد الأجنبي لم يغير أي شيء من قناعاتي، هو مكان آمن نسبياً للعمل بشكل أكثر حرية و استقلالية.

«أحلم أن أؤثر في زمن ما... في زمن قادم....»

• لأي درجة ترى أن نجومية عمل الكاريكاتير تصبح متقدمة عند تناول الرؤوس الكبيرة في الصراعات السياسية؟

ليس الأمر متعلق بالنجومية، المواضيع حساسة لدرجة قد تفقدك حياتك..! لا أعتقد أن أحد يخاطر بحياته بشكل دائم يسعى إلى نجومية، في بعض الأحيان تكون مضطراً لتناول شخصيات معينة، إذ لا يمكن أن تتجاهل ذلك، في معظم دول العالم هذا الأمر طبيعي جداً بل ومطلوب أيضاً، ولكن يكون قاتلاً في دول الدكتاتوريات القمعية الغبية..!

من خلال التجربة الشخصية، الرسوم التي نشرتها و البعيدة عن الشخصنة كانت أهم وأكبر تأثيراً عن الرسوم الشخصيات، لذلك أحاول أن أتجنب ذلك إذا كانت الفكرة قوية بما يكفي لعدم شخصنتها.

• ماذا تقرأ في هذه الأيام ومن هم كتابك المفضلون ورساموك الذي تنشغل بمتابعتهم؟

هذه الأيام منشغل بشكل كبير مع الأسرة وأجد صعوبة لإيجاد وقت للقراءة كما في السابق، بالإضافة لوقت تعلم اللغة الفرنسية، أنا مهتم بالروايات، لا يوجد كتّاب مفضلين بالاسم. أحب أن أقرأ للجميع أو من أسمع عنهم نقداً مهماً يدفعني للبحث والقراءة، أما الرسامون، فهم كثر زملاء كثر رائعين ولديهم تجارب كبيرة سواء عرب أو أجانب.

• تدّرس مجموعة طلاب في أحد المدارس في سويسرا، هل سوف تترك الكاريكاتير وتتفرغ لذلك؟

هذا خيار مطروح بجد ولكنني أعرف أنني لا أستطيع ترك الكاريكاتير..! ربما يكون في أقصى حالاته إجازة قصيرة. العمل مع الطلاب جميل ومهم، ويعطيك أبعاد جديدة وتكتسب مهارات مهمة، بالإضافة الى الطاقة التي تستمدها بالتشارك مع الطلاب في العمل. أشعر أنني أعود طالباً معهم أثناء الدرس، مع كل الطاقة التي كانت لدي والتي تنقص يوماً بعد يوم..

• من أين تنهل ثقافتك وأنت تقضي معظم وقتك على الإنترنت؟

أنا لست مثقفاً و لا أدعي ذلك! لدي بعض الاهتمامات والمهارات أحاول أن أوصل فكرتي و إحساسي من خلالها و حسب.

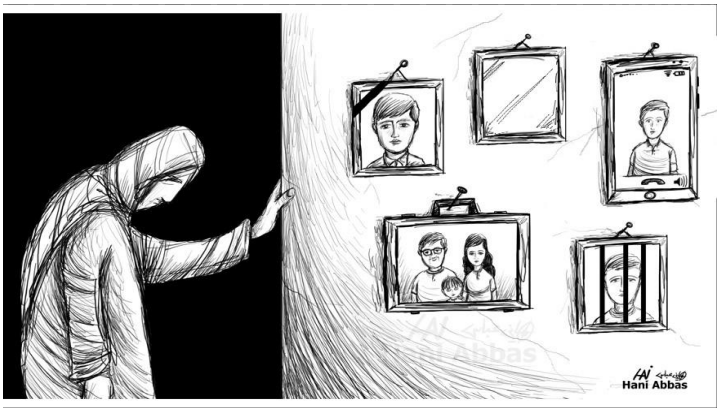

سينما

عودة أفلام «المؤسسة العامة للسينما في سورية» إلى منصّات التتويج

❖ بشار إبراهيم

فاز فيلم « بانتظار الخريف» للمخرج جود سعيد بجائزة أفضل سيناريو في «مهرجان وهران للفيلم العربي» 2016، وقبلها كان جود سعيد نفسه نال جائزة أفضل فيلم عربي في المسابقة الموازية في « مهرجان القاهرة السينمائي الدولي» 2015. وشارك باسل الخطيب بفيلميه «مريم»، و«الأم»، وفاز بعدد من الجوائز، منها الجائزة الكبرى لأولهما في «مهرجان مسقط السينمائي» 2014. ولم يمرّ فيلم « الرابعة بتوقيت الفردوس» للمخرج محمد عبدالعزيز من دون نصيبه من التقدير والجوائز، ناهيك عن سلاف فواخرجي، وفيلمها « رسائل الكرز»، الذي وجد محلاً للتكريم أيضاً.

وإذا انتبهنا إلى المشاركات المتصاعدة لأفلام « المؤسسة العامة للسينما في سوريا»، بدءاً من مصر، التي سبق أن كرّس «مهرجان الاسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط» دورةً للاحتفاء بـ«الثورة السورية» وفنانيها ونجومها، منذ أعوام، قبل أن يتحوّل تماماً بإدارة الناقد الأمير أباظة، إلى درجة رأيناه عبر الشاشات في دمشق، مشاركاً في «مهرجان سينما الشباب»، وشاهدنا كيف تمّ تكريم الوفد السوري الرسمي، في الدورة الأخيرة من «الاسكندرية السينمائي»، المنعقدة في سبتمبر العام 2015.

لقطة من فيلم بانتظار الخريف

وكذلك الشوط الذي قطعه « مهرجان القاهرة السينمائي الدولي » ما بين الامتناع عن عرض فيلم « العاشق» للمخرج عبداللطيف عبدالحميد في العام 2011، إلى منح جائزة لفيلم من بطولته في العام 2015..

أقول: إذا انتبهنا إلى المشاركات المتصاعدة، بدءاً من مصر إلى والجزائر، وعُمان، فالمغرب، والعراق، والسودان، ومن ثم سائر مهرجانات السينما العربية، في الوطن العربي وخارجه، اللهم باستثناء « مهرجان دبي السينمائي الدولي»... يمكن القول حينها: إن أفلام « المؤسسة العامة للسينما في سورية» تشهد عودة جماعية إلى مهرجانات السينما العربية، وإلى منصات التتويج، بعيداً عن التردّد والارتباك الذي وجدت بعض المهرجانات نفسها فيه، وكذلك بعيداً عن ضغوطات بعض السينمائيين السوريين التي مارسوها على هذا المهرجان أو ذاك، وإجباره على التراجع عن عرض أفلام « المؤسسة العامة للسينما في سوريا»، في برامجه أو مسابقاته، باعتبارها «أفلام نظام»!.

يبدو أن زمن « الرؤوس الحامية» ولّى!... وإلا كيف نفسّر هذا الصمت الشامل ممن أشعلوا الدنيا ضجيجاً قبل سنوات ضد، على الأقل، أحد أفضل أفلام السينما السورية خلال العقد الأخير من السنوات، وأحد أكثر الأفلام السورية نقديةً، ومقاربةً، وانتصاراً لفكرة «الشعب السوري الواحد»؟...

ما الذي تغيّر ما بين موسم السينما العربية في العام 2011، وموسم السينما العربية في العام 2016، ونحن على بوابة مشاركة شبه كاملة لأفلام «المؤسسة العامة للسينما» في مهرجانات السينما العربية؟

هل هبط المقاتلون من أعلى جبل أحد؟

يعرف أدنى مهتم بالسينما السورية أن «المؤسسة العامة للسينما في سورية» حافظت على كيانها المؤسساتي والإداري، من دون أيّ تغيير يُذكر، ولم تعبأ بكل ما جرى منذ مارس 2011. وأنها مضت في سياساتها الإنتاجية على النحو المألوف، بل عمدت إلى زيادة وتيرة الإنتاج على مستوى الأفلام الاحترافية لمخرجين أمثال: عبداللطيف عبدالحميد، ونجدت أنزور، وجود سعيد، وغسان شميط، وباسل الخطيب... وعلى مستوى الأفلام القصيرة للشباب والهواة والطلبة.

تراكمٌ سينمائي جدير بالمشاهدة والنقد شكلاً ومضموناً، بخاصة أنه من إنتاج «مؤسسة» تتبع «وزارة ثقافة»، وبالتالي من المُفترض (سلفاً)، كما يزعم كثيرون، أنها أفلام تعتني بتقديم « الرواية الرسمية» لما يجري الآن وهنا. فهل هذا صحيح؟. الزعم بناءً على مشاهدات واسعة لكثير من هذه الأفلام، الطويلة والقصيرة، أن هذا الافتراض غير صحيح، باستثناءات محدودة طبعاً. ولكن الأصل في الموضوع أنه لم يكن الحجر على هذه الأفلام ومنعها من المشاركة في مهرجانات السينما العربية بسبب مضامينها ومقولاتها، ولا الفسح والسماح بعودتها في عودتها كذلك. كانت محاولة للاستئصال وفشلت.

• كاتب وناقد سينمائي فلسطيني

دوبلاج الدراما: تجارة الأصوات

❖ عمر الشيخ

تُرى أي أبوة فنية خلقت ذاك السوق التجاري الضخم للأعمال الأجنبية؟ سواء كانت تركية أم مكسيكية أو غيرها؟ أليست هي عولمة بصرية بشكل أو بآخر..؟ ربما اختارت شركات الإنتاج تصدير أعمال من كل أنحاء العالم بسبب قحط الفكر المحلي أو العربي وعدم مقدرته على تقديم أعمال درامية مختلفة، فتكلفة دوبلاج عمل واحد تساوي تقريباً ما تكلفه ميزانية مسلسل من الصف الأول تقنياً وفنياً، إلا أن لعبة الكسل وكسب الأرباح على حساب (الإنفتاح) جاءت من حظ النجوم الذين لم يجدوا على ساحة الشاشة العربية مكاناً لهم، فاستخدم أبسط امكانيات الممثل لتقديمه على هيئة صوت وسلخ هويته الفنية ببساطة شديدة، أو كما سماها أحد الممثلين السوريين (الدوبلاج هو كسب رزق بضمير...!) وهو من أكثر الفنانين الذين تجدهم (محشورين) في الأدوار الثانوية، لم نجد نجوماً كباراً قاموا بدبلجة أي عمل، كل من يعمل هنالك هم فقط اللذين اعتلوا خشبة الدراما ولم يفلحوا، فأصبحوا يقدمون ما يمكن من مبررات أمام حضور (العملة الصعبة)..

لم تقم الأعمال الدرامية المدبلجة عن اللغات الأخرى حسب ثغرات معينة أصابت الدراما السورية، على العكس إنما ساهمت اللهجة المحكية السورية بتواصل الناس مع معظم تلك الأعمال، لعل أبرزها الآن تلك الموجة الكبيرة من الأعمال التركية والهندية المتناثر على شاشات الفضائيات، فالهوية السورية كصوت أصبحت زوجاً شرعياً للصورة والموضوعة الأجنبية سواءً أكانت تلك القضايا الحياتية المتناولة عبر المسلسلات التركية بالتحديد تتقاطع مع قضايا المجتمع واهتماماته أم لا، فالمسألة لا تتعلق بطبيعة المشكلات المطروحة على شاشة عربية بدوبلاج سوري، بل هي حالة فصام تكشف عن فسحة فنية مفاجأة جعلت من صناع أهم دراما في العالم العربي هم مجرد أبطال من صوت لا يقنعهم ربما وخصوصاً ممثلي الصف الثالث وما دون، فارتباط اللهجة بالصورة الظاهرة أمام المشاهد سوف تحتم جدلاً رغبات عارمة في تجريب مثلاً (العشق الممنوع) لتدرج موضة الخيانة الإنسانية والاستمرار بها تحت تسمية (العاطفة) لا اعتقد أن ساذجة تصدير مثل هكذا أنماط من تجارب الحياة المنحلة اجتماعياً هي فتح على صعيد الفكرة والتناول، بل هي مجرد اختراق أبله لمحظورات المجتمع، وخصوصاً حين تتحول شهوة الأسئلة إلى أرض الواقع والبحث عن إجابة، فبقدر ما يفتح المسلسل المدبلج انحطاطاً فكرياً بقدر ما تُمتع الناس بالمناظر الطبيعية فيه والديكورات الفارهة التي يمثل ضمنها، كل تلك أحلام تناسب المشاهد العربي وتلبي حاجته من دوافع التجريب حتى لو كان (العشق الممنوع) ضد الإنسانية..!

لم يعد بالإمكان ضبط هذا المشهد بعقلية التريث والتأمل، إلا إذا أراد المشاهد أن يتعايش مع فصام نفسي أثبت بأكثر من عائلة تتعاطى المسلسلات التركية بدل الأكل والنوم والثقافة وربما الحياة..! هذا الظهور المفاجئ الذي يترك أسئلة كبرى من قبيل هل يدبلج الأتراك أعمالنا السورية مثلاً، أو هل تقوم الشركات الكورية بدوبلاج الأعمال الدرامية الأردنية، هل تقوم أي شركة أجنبية بشراء (باب الحارة) أو (صرخة روح) لعرضه باللغات الأربعة عشر العالمية..؟ بالتأكيد لن ينظر أحد من أولئك بمنظور دوبلاج تنويري، فنحن نتعلم من حكم الدراما التركية المدبلجة أسمى التصرفات الأخلاقية (النبيلة) التي تكسبنا خبرة حياة لو فكرنا بالعيش في تركيا أو أوربا.. ولكنها لن تمنحنا سوى سعرات الكسل المستمر، وملايين إبر التخدير الثقافي..

• كاتب وصحفي سوري

ذاكرة في المخيم.. تلك الكثافة الثقافية

❖ فؤاد ديب

في آخر مشهد من مشاهد حلم يراودني كل مدة: " الأطفال الذين رأيتهم آخر مرة يسبحون في مياه النافورة تلك، ما زالوا كما هم لم يكبروا، ولم تؤثر بعمرهم سنوات الحرب الملعونة، أكاد أذكر تفاصيل أقفاصهم الصدرية وشعرهم المليء بأعشاب النافورة الخضراء وملابسهم الداخلية وحتى الذين لا يرتدون ملابس داخلية كلهم يتصايحون ويلعبون ويقفزون داخل الماء فيتطاير ماء النافورة رذاذاً أخضر يطال شاباً يجلس في سرفيس يرموك كراجات جانب الشباك، يعلق: شو هالشعب خيا تاركين ولادهم فلتانين بنص البطيخة نزلني على اليمين معلم".

آخر ما يمكن أن تتذكره مخيلتك قبل أن يصاب المخيم بالجذام، وتصيبه عدوى الحرب الملعونة، يركض الشاب قاطعاً الشارع ويدلف إلى داخل مركز حلوة زيدان في أول شارع اليرموك كي يتدرب على عرض قادم عن (التمسك بالوطن) و أن المخيم ليس إلا عنواناً مؤقتاً للفلسطيني أينما حل ومهما قست عليه الظروف وضاقت به الأرض... هو المخيم محتفياً ومخلداً عودته إلى فلسطين منتقداً عادات سيئة بعرض مسرحي آخر لشاب موهوب أسما عرضه (السوكة) هذه الأدران التي تراكمت عبر سنوات اللجوء لكنه لم يفقد ألقه الثقافي على الرغم من أسواقه التجارية وتداخاله مع الأحياء المجاورة له.

على اليمين لوسمحت، بكل أدب وأحترام وهدوء يغلق باب السرفيس ويدلف الى مركز شبابي كي يشارك بأمسية شعرية عن الحب والموت والحرب عن كل شيء، لكن هذا الهدوء سرعان ما ينتهي عندما يصعد المنبر شاعر شاب بشعره الأجعد وثيابه الميتافيزيقية، يتهكم أحد الحضور، يقول لجاره الجالس بجانبه والذي لا يعرفه: "ما رأيك أن نذهب الى المكتبة الفلسطينية قريبة بعد ثلاثة شوارع هناك إحتفاليه بإصدار كتاب عن إحدى القرى في شمال فلسطين، صادر عن دار الشحرة، فيوافق، ينهضان وتنشأ بينهما مودة سريعة يشتريان الكتاب ويكملان سيرهما الى المركز الثقافي العربي في نهاية شارع فلسطين كي يحضران حفل توزيع جوائز مهرجان ربيع الأدب للموهوبين والموهوبات من الشباب، ويستمعان إلى رأي اللجنة التي قامت بتقييم هذه المشاركات.

بعد ذلك سيلقيان التحية على صديق مشترك بينهما يعمل في (مجلة الهدف) ويشاركا في اللقاء الشهري لمجلة المخيم، هذا الصديق الذي عرفا أنهما يشتركان بصداقته وهما يتجاذبان أطراف الحديث بينما هما يمشيان ويتناقشان بما سمعاه : "كأنه بالفيسبوك عنا أصدقاء مشتركين؟"

إذاً دعنا نذهب إليه كي نرافقه سوية إلى الخيمة في (الحجر الأسود).. أستاذ أستاذ آخر موقف إنه دوار البطيخة أكياس الرمل والدشم واللباس العسكري وأصوات الرصاص والقذائف.

"أستاذ الله يخليك بسرعة" يجذبني شاب يرتدي لباساً عسكرياً ويدفع بي خلف كتلة اسمنتية اجلس .. اجلس.. هل تذكرني..؟

ها نعم نعم أذكرك جيداً كنت تسبح في مياه النافورة أليس كذلك..؟

عليه العوض ومنه العوض، أستاذ أنا الشاب الذي حاز المركز الأول بمسابقة الشعر في مسابقة ربيع الأدب...!

وبينما أحاول تذكره تدوي طلقة قناص فتجحظ عيناه ويهوي الشاعر الشاب على صدري أسحب ما تبقى من جسده كي أخفيه تماماً خلف الكتلة الإسمنتية كي لا يصاب بطلقة أخرى لكن عينيه تغمضان وإبتسامة في زاوية فمه. ويهمس: المخيم.. فلسطين... أحاول أن أتذكره لكنه ينهض ويخلع ثيابه ويقفز مع الأطفال الذين يسبحون في مياه النافورة وبينهم حسان وزياد وخالد وأنس وأحمد وطلال ووليد وسمير وجابر وفؤاد وكمال وبشار وسوزان ورئيفة وبشرى وماهر وبسام ومعاذ وقحطان ورائدة، وليندا ترسم لوحة لدوار لبطيخة آخر ما يمكن أن يصله اليوم خط يرموك كراجات..

هذا هو المخيم ما زال يانعاً في الذاكرة لم تهدمه الحرب وبقي واسعاً فاتحاً ذراعيه مشهراً قلبه امام الجميع كي يدخلوه بسلام آمنين، مرحّباً بهم في كل زقاق وعند كل زاوية متخيلاً المخيم وكأن كاميرا فجر يعقوب تصور المراكز الثقافية والمنتديات كي تبقى في ذاكرتنا ابتداءً من مركز الشهيدة حلوة زيدان إنتهاء بالمركز الثقافي العربي وما بينهما مثل منتدى غسان كنفاني الثقافي، المنتدى الثقافي الديمقراطي ، المكتبة الثقافية الوطنية ، مكتبة عز الدين القسام، نادي فتيات فلسطين، مركز جفرا، دار الشجرة، دار الكرمل ، دار الطارق، دار واجب، دار القدس للعلوم، مجلة الهدف، مجلة الحرية، مجلة إلى الأمام، مجلة فلسطين المسلمة، مجلة فارس.. وقبل أن يحدث ما حدث في المخيم بدأت مجلات اخرى بالصدور مثل: مجلة المخيم والكثير من المجلات...وكان هناك بيت الشعر ومركز الشهيد ماجد أبو شرار ومركز إبداع والمركز الفلسطيني للثقافة والفنون وكان هناك الكثير من الملتقيات في المنازل مستذكرين الرعيل الأول: صالح هواري داود يعقوب يوسف اليوسف ومحمود موعد وبعد ذلك أحمد برقاوي ومحمود السرساوي وماجد ابو ماضي وحكم وغيرهم الكثيرين الكثيرين .

كان مخيم اليرموك من أكثر بقع العالم كثافة سكانيه وكذلك كان مزدحماً بالمراكز الثقافية، ببساطة هو المخيم بكل ما تعنيه فلسطين من معنى..!

• شاعر فلسطيني سوري

هرباً من القناع

❖ إيناس العبد الله

حالياً لا أشعر بأي انتماء روحي أو عقائدي، أوعاطفي، أو حتى إنساني! كأن مخزوني البشري من الإحساس قد نفذ، حسناً في أدبيات الفلسفة والدين وخزعبلات خطورة الفراغ الروحي، من المفترض أن يتجسد لي الشيطان مغرراً بي عارضاً علي بهلوانيات الغواية، ساحباً يدي الى عوالم الخطيئة الخطرة، لكن هذا ببساطة لم يحدث.

أنا في مرحلة احتضار وجودي عارمة، بحيث حتى الشيطان المتمرس غير قادر على تغيير بوصلة قناعاتي التي تتبدد أمامه، الحياة محض فشل ممض طويل، والنجاح البسيط هو محطة دخلنا فيها نتيجة خطأ في التعليمات، سرعان ما نتسابق للخروج منها، سيأتي الواهمون ليحتجوا على هذا التشاؤم الذي لا يليق بمفكرة، لكنهم سرعان ما يكتشفون الكذبة التي ابتلعتنا طويلاً عن أن (الحياة جديرة بأن تعاش) محض كذبة وحسب ! الحلّ أن لا تقاوم أبداً، وأن لا تنحنِ للعاصفة لأنها ستركب على ظهرك للأبد!

عزيزي الشيطان، لن أبيع روحي لأنه بالأساس ليس ملكي، بل استعارة حزينة لحياة مرت ولم تكترث بها الحياة.

الاستمرار بالنسبة لي هو محاولة فك أنياب المصيدة، لا أريد أن أحلم بعدها بالعالم الحر، الحلم أكبر مصائد البشرية!

سأمضي نهاراً آخر في الكتابة، في نحت تماثيل النار لحيوات لا تخصني، ونهاراً آخر في الرقص، فتحريك عضلاتي يتطلب أن تصدح موسيقى لمدة أطول، ونهار بعيد في النواح، وآخر في العبور من ألم إلى آخر، أجرّ خلفي جثة الماضي المعدمة بطلقة في الرأس، لولا الشوق، لدفنا الموتى سريعاً، أسرع مما يعتقدون!

لو لم تأتِ إلي الصدفة الصدئة، لكنت الآن أحلق بجناحين من فضة، أريد أن أمحو الوجوه من ذاكرتي، حتى تلك التي لا أجمل منها، الجمال مزعج أيضاً حين نشعر أننا لا يمكننا مقاومتة. وحين ينساب ضعفنا حوله ويجردنا من وقفة المارشال العسكري في طوباوية منقطعة النظير...

تعبت! محاولة لبس لقناع آخر، ترهقني أيتها الحياة!

• روائية فلسطينية

ممحاة | "من أجل عينيكي عشقة الهوء"..!

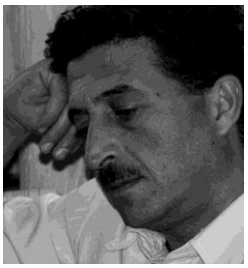

❖ زيد قطريب

مجزرةٌ أخرى تُرتكب بموازاة بحيرات الدم: معجمٌ بساقٍ واحدة وعينين مسمولتين يتلمّس طريقه بين العبارات المدهونة بعشوائية فوق جدران الكونكريت وعلى الحيطان المتهدمة، حيث الجنود المحدقون بخوف في وجوه العابرين، يبعثون رسائلهم الهشّة عبر الواتس آب إلى الحبيبات المنتظرات بلهفة خلف "الوايرليس"..

"من أجل عينيكي عشقة الهوء"، يكتبها المقاتلُ بثقة وهو يضغط على زناد الحرف في الجبهة المواجهة لجوبر... "لولو.. ميرا.. فوفو.. من هنا: بحبكون" يحفرها الحارسُ فوق الجدار الشرقي لقلعة دمشق منذ عدة سنوات على الأرجح، لكنه ينسى ترك توقيعه الذي يسمح بالعثور عليه كمؤلف لتلك العبارة التي قرأها كل الراكبين في سرافيس الزاهرة كراجات، على الأرجح أن ذلك الجندي كان يتذكر بناته قبل أن تلتهم قلبه الحرب وتفرض عليه أن يختار دور القاتل أو القتيل!. الكلمة هنا، خارج سياق النحو المعروف، لأن الصرف يجلس بالمرصاد ويكمن خلف السواتر والأعداء المتكدسين وراء بلوكات الشمينتو والخنادق.. " أنتصرنا"، يكتبها المقاتل هكذا، بهمزة فوق الألف، ثم يتلوها بكلمات لا تحتمل أسنان السين التي تندمل مع اللفظة لينقلب المعنى بناء على البعد الاستراتيجي للمعركة..

المعجم المدمر، يحمل وعاء الكلمات ويدور مع رشاشات الدوشكا، كي ينسج على منوال قصيدة العبد الولهان: "ولقد ذكرتك والرماح نواهلن مني.." افتتاحياتٍ عصريةً لمعركة بدأ معجمها بأحرف الجر، ثم ساق على المنوال، شعراء وعاشقون يجلسون تحت شجيرات النخيل في باب توما، كي يكتبوا على الدشم المواجهة للسيارات: "أوكي"، ثم يهرعون إلى المناوبات الليلية كي يحفروا على أشجار الكينا الأحرف الأولى من أسماء الحبيبات في القرى البعيدة عندما يشعلن البخور ويقولون أي شيء كي لا يستقبلن أحبتهنّ شهداء!.

إذا صحّ القول بأن لكل معركة لغتها الخاصة، فإن معارك اليوم جرّت ويلاتها على كل أدوات النصب، في حين رفعت شأن أحرف العلة مثلما حذفت أحرف التثنية والجمع والعطف.. معركة تحتاج إلى معجم بعينين ضامرتين ومخّ يشبه الكورن فليكس، بحيث أن الكاتب يمكن أن يلجأ للإيماء بالذراعين وهزّ الرأس، عندما يستعصي عليه "لسان العرب" المحكوم بالتأتأة والتردد وعدم القدرة على حسم الخيارات في هذه المرحلة حتى لغوياً.. هكذا يتشظى المعجم على " الطينة" المتسلخة قرب السواتر التي توزع آيات القرآن الكريم بالعدل على المتحاربين وهم يحنّون إلى الحبيبات ويكتبون إليهنّ عبارات لا يقدر على فك ألغازها إلا الزمخشري!. حتى هم شخصياً، يضحكون من كل قلوبهم وهم يستعيدون لحظات الخطر عندما تكتب معجمها الخاص بمعزل عن مجامع اللغة وطرابيش الفعل الثلاثي!. الوقتُ الآنَ للفعل المزيد، والزائد، والمتعدي، يقول الشابُ الملتحي وهو يحرك الكلاشينكوف بيديه النحيلتين ثم يشير إلى دفتر المسوّدات الذي يقتنيه في البدلة المموّهة التي لا تكشف مع أي ميليشيا يعمل: " من أجل عينيكي عشقة الهوء" يعيدها الجندي المحاصر عند برج المعلمين ثم يكتب: "بحبك يا كلبة"!.

• شاعر وناقد سوري

ربع قرن يا أمي...

❖ أنس فرج

وقلتها كأني أرصف خمس وعشرين حبة لؤلؤ بنسق اسمه الرحيل، وما بقي في نهايته رقم أعتد به. فأنا صاحب ربع قرن شهد العبور الثالث للبشرية لثلاثة أصفار جدد. حين لفظت حروف النطق الأولى لم أكن أدري أن السلام يحتاج اجتماعاً دولياً لترسم له قواعد، وأن ربع قرن سيمر ولن يتحقق من ذاك السلام شيء، بل سأشهد مطلع أيامي الأولى حرباً عربية-عربية وعدواناً وتحريراً وحصاراً وحرباً وألف ويلة وويلة.

وأني في مسيرة عبوري لعقدي الأول سترتسم قواعد عالم جديد اسمه الانترنت، وستكبر مساحته تدريجياً ليبلع العالم الأصلي ويرمي مشاعرنا في سلة المحذوفات وينهي علاقاتنا بزر الحجب الافتراضي بعدما غدت حيواتنا جدراناً توهمنا بالحرية وتحجز عنا رؤية ما خلف الجدار. وإذ بأيامي تسير يا أمي متتابعة مثقلة في إيجاد رحاب حلم ظل يكبر فرحت ألتقط من المدن رحيقها دون الشبع، ولم أكن أدري أن ذاكرة الرحيق ستؤلمني أكثر من رائحة البارود.

فالعقد الثاني يا أمي لم يأتِ وحيداً بل جلب ياسميناً أخضر أنبت في كل مكان قادماً كسفن الفينيقيين إلى الشرق، ولكن التربة كانت فاسدة كما الهواء والماء فأشعل الياسمين الحرائق وصارت حدودنا عوسج من نار، وبيوتنا سجون للفكر وجدراننا مثقبة برصاص الجار القريب. لقد أُنهكنا وسار الزمن مثقلاً حتى العجز يسحبنا خلفه ويمتطي أملنا في إيجاد الخلاص، وتشردنا شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً وعدنا إلى زمن الخيم في الصحاري. بل رمينا أنفسنا في البحر علّ الموج يقذفنا بعيداً عن الذاكرة.

واستمرت الحكاية تطوي صفحات بللها الدمع الأحمر حتى خرشت كجراح عميقة ما إن يمسها مبضع حتى تفزع. وأي فزع ذاك ووجعنا يتيم يا أمي يسمونه في سجلات الساسة " دعم إنساني" وفي أدمغة القواد ضحايا. فإذا سألتني ضحايا من؟! سيفاجئك حد الصدمة أن هنالك ٢٢ مليون ضحية هم ذاتهم ٢٢ مليون متهمين بأنهم من صنعوا الضحية. فهل الضحية أرض من تراب فاسد وياسمين مصفر؟! أم كلمة نطقناها منذ الأزل واستنتجنا اليوم أننا لانعرف عنها سوى الواو والطاء والنون؟! أم نحن في كل واحد منا يتصارع ضحية وجلاد معاً؟!.فتارة يغلب الظلم وتارة ينتصر الحق فيما يظل النصر بعين الأول ظلم بعين الآخر. وهكذا حتى صرنا متتالية مليونيه من شهيد، ومليونيه من مفقود، ومليونيه من مصاب، ومليونيه من لاجئ بحر وثلاثة أضعافها من لاجئ بر وضعف آخر من هارب ضمن حدود إطار الموت. وإذ بنا نكتشف بعد ربع قرن أننا دمى لا تتصارع إلا فيما بينها، محشوة برعب مفاده: "هناك من يهدد وجودك فاحذر". نتحرك بخيوط رفيعة لا نشعر بها، نقف على مسرح عالمي والجميع مدعو للفرجة المجانية، يسقط الدموع مرة ويضحك عشرات المرات، ولا يعر اهتماماً طالما أنه ليس سوى متفرج. لكن ما إن اشتعل المسرح وغدت ألسنة اللهب تتطاير عشوائيا وتلذع أطراف فساتين بعض السيدات وقبعات بعض الرجال حتى عمت المسرح الفوضى وكثر الصراخ منادياً بإيقاف العرض وإحلال النهاية أياً كان مصير الشخوص. اليوم وعند تمام ربع قرن يا أمي لا أجد دمعاً لأمحي جرح قريب لي، ولا بسمة لأضحك في وجه طفل لا يعرف ماذا ينتظره في الغد. لا أجد سوى ملامح مطموسة وأصابع تتحرك في اليوم مئة مرة لترمم حائط فلان بلبنة وترشق حائط آخر بحجر.

تراها حيطان السجن قد ارتسمت ونحن داخله دون ان ندري وسنمضي ربع قرن آخر أو ربما أكثر في البحث عن المفتاح؟!

أقول هذا واستسمح نفسي بأني لم أعش دور الضحية بطلاً ولا الجلاد بطلاً وما زلت لليوم ألعب دور كومبارس في جوقة منشدي الأمل.

الوطن / ذكرى ربع قرن على الميلاد

• صحفي سوري

«Delivery Books» مشروع نشر القراءة في دمشق

❖ يزن طعّان| دمشق

ليس غريباً خبر افتتاح مكتبة في مدينة عريقة مثل دمشق، إلا أن اللافت في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها العاصمة وما حولها نتيجة الأزمة التي تشهدها البلاد منذ ست سنوات هو افتتاح مكتبة تقدم خدمة توصيل الكتب المُراد استعارتها إلى المنازل بعد ساعات من طلبها إلكترونياً أو عبر الهاتف المحمول، هذا الأمر غير مألوف على الأقل في منطقتنا العربية، هو الأول من نوعه، لمعرفة تفاصيل أكثر، التقت مجلة قلم رصاص ضياء البصير مدير مكتبة خواطر الذي تحدث عن المشروع قائلاً: إن مكتبة خواطر كأي مكتبة في هذا العالم، الفرق الوحيد أنها كسرت النمطية في طريقة إعارة أو بيع الكتب وقدمت تسهيلات للقراء، الغاية منها تنمية الثقافة والمساهمة في إيصال الكتاب لمن ليس لديه القدرة على القيام بذلك بنفسه مثل ذوي الاحتياجات الخاصة، وفيها محاولة إعادة إحياء الكتاب الورقي من جديد. من ناحية أخرى بالنسبة لأنشطة مكتبة خواطر، صراحةً المشروع انطلق منذ حوالي ثلاثة أسابيع فقط، وسيتم طرح الأفكار والنشاطات الثقافية خلال الشهر الحالي. أما بالنسبة للدعم فإنهُ على المستوى الإعلامي لقيَ المشروع صدى جيد نوعاً ما، أما على الأصعدة الأخرى فمازلنا نعمل على تأمين ذلك.

وحول ولادة الفكرة قال البصير: ولدت فكرة خواطر من برنامج خواطر للإعلامي أحمد الشقيري، حيثُ كانت موضوع إحدى الحلقات في عام 2010، والتي كان يتحدث بها عن خدمة توصيل الكتب في سنغافورا، وكانت هذه الخدمة محددة لذوي الإحتياجات الخاصة لديهم. أعجبت بالفكرة بشكل كبير وبقيت في ذهني ستة أعوام حتى استطعت تحقيقها، وبداية عام 2016 بدأت بالبحث وإعداد دراسة شاملة للمشروع من جوانبه كافة، وتحققت من جدواه الاقتصادية والمعرفية، وقد تبين لي خلال الدراسة أن هذه الخدمة موجودة فقط في سنغافورا وماليزيا واليابان، وليست موجودة في أي دولة عربية. ومن هنا جاءت الفكرة وأردنا أن نعمل على إعادة إحياء الكتاب الورقي، في ظل تطور التكنولوجيا وانتشار الكتب الإلكترونية واستغناء القراء عن الكتاب الورقي. أما عن انطباعات الناس وأصداء انطلاق المشروع فقد تحدث صاحب المكتبة: انقسمت آراء الناس حول فكرة مكتبة خواطر بين مؤيد لها وساخر منها، إلا أن عدداً كبيرٌ من المثقفين رحبوا بهذه الفكرة وشجعونا، وبدأوا بالتعامل معنا حال انطلاق المشروع، ومن ناحية أخرى لا أنكر أن هناك العديد من الأشخاص سخروا من هذه الفكرة، وأود أن أذكر إحدى الحوادث التي حصلت معنا، حيث قامت إحدى الزبونات بإعطاء عنوان خاطئ بغرض التسلية فقط ولم تكترث بأمر الموظف الذي تعب لمدة ساعة ونصف في سبيل ايصال الكتاب إلى هذا العنوان. وعن المقابل المادي للإعارة أضاف البصير: صراحة من الناحية المادية فإن أي مشروع في العالم له جدوى اقتصادية، وهو يجب أن يكون مربحاً وإلا لا فائدة منه. إلا أننا في خواطر كان هدفنا ثقافياً أكثر منه اقتصادياً، إن سعر أي كتاب يتراوح بين 900- 1200 ليرة وسطياً، فكانت الفكرة أن أجر إعارة الكتاب لمدة شهر كامل هي 600 ليرة أي 20 ليرة لليوم الواحد ومن الطبيعي أنه لا يوجد شخص في العالم يستغرق في قراءة كتاب أكثر من شهر، وهي المدة العظمى المسموحة في لإعارة أي كتاب، وتكون المدة الدنيا هي 5 أيام بمبلغ 100 ليرة فقط، ووفق هذه العملية نكون قد وفرنا من 1100 إلى 700 ليرة على القارئ.

رصاصة الرحمة | مفترق طريق!

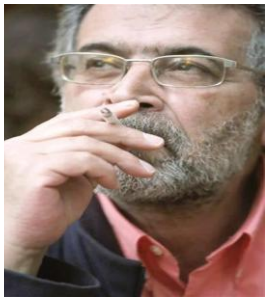

❖ نجيب نصير

يصر الكثير من الكتاب والمهتمين، على أننا كشعوب شرق أوسطية على مفترق طريق، ومع أن تكرار هذا التوصيف / التسمية لدرجة القرف، لا بد لنا من سؤال هو: هل نحن على طريق كي نصل أو لا نصل إلى مفترق ما؟ وهل انعطفنا سابقاً كلما نبهنا هؤلاء بأننا على مفترق طريق وإتخذنا الإجراءات اللازمة؟ أم استمرينا في "الطريق" أو ربما اتخذنا منعطفات أخرى تودي الى طريق أو طرق أخرى؟ لا أعتقد أيها السادة الأفاضل بأننا على مفترق طريق، أساساً لسنا على طريق كي نلاحظ منعطفا هنا ومطب هناك، فالطريق شقت مع عصر الأنوار ولم نتخذها دربا، ولم نقربها إلا شفاهة، و وعوداً، أما سلوكها فهو شيء آخر تماماً.

هل كنا على طريق عندما حلت علينا بركات الثورة العربية الكبرى بقيادة لورنس، وإنتبهنا إلى المفترق الذي عنته باكتشاف سايكس بيكو مثلا؟ أم "لاحظنا" أن هناك مفترق وقاس أيضاً عند وعد بلفور الذي جاء بعد مؤتمر بفترة طويلة، وجاء إغتصاب فلسطين بعدها بفترة أطول، أولم يكن ذلك على مفترق "الطريق" الذي نسلكه؟ ولما نزل حتى يومنا هذا غارقون في لاطريقنا على الرغم من مئات المفترقات التي سمعنا بها، ولعلنا نتساءل ما الفائدة من سماعنا بالمفترقات الطرقية هذه، إذا لم نكن على طريق أساساً، مع العلم أن الطريق واضحة لا يقدر استعمار، ولا إتفاقيات، ولا مؤتمرات ولا مؤامرات عن ردعنا من سلوكها.

شيء واحد يمكنه أن يمنعنا، هو ثقافة الجهل والتخلف، إنها الثقافة التي تمسكنا بأهدابها، كطفل باك يتمسك بأهداب والدته التي لا حول لها ولا طول، خصوصاً أن المعرفة ومنذ الأزل هي مادة عمومية يستطيع البشر كل البشر الإفادة منها ووضعها موضع التطبيق والممارسة، لا فضل ولا ميزة لأحد على أحد، فمن أمارسها فلح وسار على طريق، ومن لم يمارسها فلم يعثر على طريق، أما الذي علم بها وعاند برفضه لها وأشهر في وجهها التافه والمستعمل والمهترىء من معارف، ضاع في تيهه في دروب الفناء. جميعنا يعرف عن فوات الفرص من حوادث وأحداث وطرف، ولكن أن تضيع فرصة تأسيس المجتمع من أجل إنتاج دولة؟ فهذه ليست طرفة مهما كانت فانتازية، أو غرائبية، ولما نزل نعتبرها كذلك طرفة غرائبية فانتازية، أو تضيع فرصة العلمانية المؤدية الى إنتاج وطن وهو غير (البلد أو البلاد)، فهذا ليس سلوك لطريق يمكن أن تظهر فيه مفترقات، إنه خبط عشواء جمال، بين كثبان تغيرها الريح، دون أن نحسب للريح حساباً. لنسأل مرة أخرى، حول اتعاظنا أو استفادتنا من (مفترق الطريق)هذه، هل هناك من "دولة" في العالم أعضاؤها ليسوا متساوين دستورياً، إلا هذه البلاد؟ ونعود قائلين إننا على مفترق طريق، أرجو أن لا يكون مفترق الطريق هذا ناتج عن خرق أو تحطيم محاصصة طائفية هنا، أو زواج مختلط هناك. أو خدش للحياء العام، أو إساءة الى شعور إحدى العشائر، هنا وهناك، لأنه ساعتها سوف تغلق الطريق المشتهاة بسبب تراكم جثث الحرب الأهلية. أرجوكم أوقفوا هذه العبارة (مفترق طريق) لأننا لا نسلك طريقاً، وكل ما نأمله أن تكتب لنا طريق الى الجنة.

• كاتب وسيناريست سوري

مجلة قلم رصاص | نصف خطوة نحو الحقيقة ـ مجلة ثقافية شهرية منوعة تصدر بجهود شخصية عن موقع قلم رصاص الثقافي

. رئيس التحرير: فراس الهكّار . مدير التحرير: عمر الشيخ

الموقع الإلكتروني: www.qalamrsas.com | للمراسلة عبر البريد الإلكتروني: qalamrsas2016@gmail.com